نقولات في عدم العذر

التوحيد دين الفطرة

2022\11\1

قال ابن حجر في فتح الباري (301/12):

وفيه (حديث قتل الخوارج) أن من المسلمين من يخرج من الدين من غير أن يقصد الخروج منه ، ومن غير أن يختار دينا على دين الإسلام .أهـ

قال الرازي في تفسير سورة الحج الآية 71 (151/11):

{ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله مَا لَمْ يُنَزّلْ بِهِ سلطانا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ }

فبين أن عبادتهم لغير الله تعالى ليست مأخوذة عن دليل سمعي وهو المراد من قوله : { مَا لَمْ يُنَزّلْ بِهِ سلطانا }.

ولا عن دليل عقلي وهو المراد من قوله : { وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ }.

وإذا لم يكن كذلك فهو عن تقليد أو جهل أو شبهة.

فوجب في كل قول هذا شأنه أن يكون باطلاً.

فمن هذا الوجه يدل على أن الكافر قد يكون كافراً ، وإن لم يعلم كونه كافراً ، ويدل أيضاً على فساد التقليد .أهـ

قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (6-75):

كلمتي الكفر والإيمان إذا قصد الإنسان بهما غير حقيقتهما صح كفره ولم يصح إيمانه.

فإن المنافق قصد بالإيمان مصالح دنياه من غير حقيقة لمقصود الكلمة فلم يصح إيمانه.

والرجل لو تكلم بكلمة الكفر لمصالح دنياه من غير حقيقة اعتقاد صح كفره باطنا وظاهرا؛ وذلك لأن العبد مأمور بأن يتكلم بكلمة الإيمان معتقدا لحقيقتها، وأن لا يتكلم بكلمة الكفر أو الكذب جادا ولا هازلا، فإذا تكلم بالكفر أو الكذب جادا،

أو هازلا كان كافرا، أو كاذبا حقيقة؛ لأن الهزل بهذا الكلمات غير مباح، فيكون وصف الهزل مهدرا في نظر الشرع؛ لأنه محرم فتبقى الكلمة موجبة لمقتضاها .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (273/7):

قال تعالى : { ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب } فاعترفوا واعتذروا ؛ ولهذا قيل : { لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين }.

فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفرا بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر

فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم ولكن لم يظنوه كفرا وكان كفرا كفروا به فإنهم لم يعتقدوا جوازه .أهـ

قال ابن تيمية في الصارم المسلول(184/1):

ثم إن هذا الرجل لم يذكر في الحديث[1] أنه قصد الطعن والإزراء وإنما قصد تحصيل شهوته بالكذب عليه وهذا شأن كل من تعمد الكذب عليه فإنه إنما يقصد تحصيل غرض له إن لم يقصد الاستهزاء به والأغراض في الغالب إما مال أو شرف كما أن

[1] – عن ابن بريدة عن أبيه أن النبي ρ بلغه أن رجل قال لقوم : إن النبي ρ أمرني أن أحكم فيكم برأيي و في أموالكم كذا و كذا » و كان خطب امرأة منهم في الجاهلية فأبوا أن يزوجوه ثم ذهب حتى نزل على المرأة فبعث القوم إلى رسول الله ρ فقال : « كذب عدو الله » ثم أرسل رجلا فقال : إن وجدته حيا فاقتله و إن أنت وجدته ميتا فحرقه بالنار فانطلق فوجدوه قد لدغ فمات فحرقه بالنار فعند ذلك قال رسول الله ρ : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ».

المسيء إنما يقصد . إذا لم يقصد مجرد الإضلال . إما الرياسة بنفاذ الأمر وحصول التعظيم أو تحصيل الشهوات الظاهرة.

وبالجملة فمن قال أو فعل ما هو كُفر كفرَ بذلك وإن لم يقصد أن يكون كافرا إذ لا يقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله .أهـ

قال النووي في شرح صحيح مسلم (97/2):

وأما حكمه صلى الله عليه وسلم على من مات يشرك بدخول النار ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة فقد أجمع عليه المسلمون

- فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها
- ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة
- ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادا وغيره
- ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده وغير ذلك.

وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة أولا وان كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة فان عفي عنه دخل أولا وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة والله أعلم .أهـ

معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (ت 911 هـ) 3/ 55:

(فاسْألُوا أهْلَ الذّكْرِ) : يعني أحبارَ اليهود والنصارى، لأن جميعهم يشهدون أن الرسل من البشر.

ويؤخذ من هذه الآية وجوبُ سؤال الجاهل عما يحتاج إليه في أمْرِ دينه، ولا يُعذَر بجهله.

وفيها دليل على أن خَبر التواتر يفيد العلم، لأن المعنى: فاسألُوا أهلَ الذِّكرِ لتعلموا إن كنتم لا تعلمون، فهو سؤال عمّا لم يعلم ليعْلم.

فإن كان المسؤولون بَالِغِينَ عددَ التواتر فهو خَبَرَ تواتر، وإلا فهو خبر واحد محصل للعلم في الوجهين.

حصول المأمول شرح ثلاثة الأصول لعبد الله بن صالح الفوزان (95/1):

«« وهو الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحيدِ والانقيادُ له بالطاعةِ، والخلوصُ مِنَ الشِّرْكِ »».

قوله : { وهو } ، أي : دين الإسلام، الذي بعث الله به نبيه ρ يقوم على ثلاثة أسس:

الأساس الأول : الاستسلام لله بالتوحيد .

الأساس الثاني : الانقياد لله تعالى بالطاعة .

الأساس الثالث : البراءة من الشرك ومن أهل الشرك .

فهذه الأمور الثلاثة هي التي ينتظمها دين الإسلام. أما الأول فهو { الاستسلام لله } بمعنى : الخضوع والذل له سبحانه؛ لأن من معاني مادة (أسلم) في اللغة : الطاعة والإذعان. وقد ورد هذا في قول الله تعالى : { وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ }[2] ، والمسلم سمي بذلك لخضوع جوارحه لطاعة ربه .[3]

---

[2] - سورة الزمر، الآية : 54 .

[3] - انظر : " لسان العرب " : مادة (سلم) .

وقوله : { بالتوحيد } هذا شامل لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، والمعنى : أن يستسلم ويخضع لله – عز وجل – وأن يفرده بربوبيته وألوهيته .

الثاني: { والانقياد له بالطاعة } الطاعة تشمل المأمور والمحظور. الطاعة في المأمور بالفعل، والطاعة في المحظور بالترك .

الثالث : { والخلوصُ من الشرك } ، أي : البراءة من الشرك وأهله، فلا يتم دين الإنسان إلا إذا تبرأ من المشركين وتبرأ من الشرك .أهـ

جاء في كتاب تيسير العزيز الحميد شرح كتاب الحقائق في التوحيد لأبي مارية القرشي (82/1):

قال الشيخ أبا بطين في الدرر 402/10 جميع العلماء في كتب الفقه قالوا : فمن ارتد عن الإسلام قتل بعد الاستتابة ، فحكموا بردته قبل الحكم باستتابته ، فالاستتابة بعد الحكم بالردة والاستتابة إنما تكون لمعين ويذكرون في هذا الباب حكم من جحد وجوب واحدة من العبادات الخمس أو استحل شيئا من المحرمات كالخمر والخنزير ونحو ذلك أو شك فيه يكفر إذا كان مثله لا يجهله

ولم يقولوا ذلك في الشرك ونحوه مما ذكرنا بعضه بل أطلقوا كفره ولم يقيدوه بالجهل ولا فرقوا بين المعين وغيره ، وكما ذكرنا أن الاستتابة إنما تكون لمعين).

ش:في كلام أبا بطين جملةُ فوائد منها:

1–لحوق اسم الردة قبل الإستتابة.

2–تكفير المُعَيَّن.

3–أمثلة على المسائل الظاهرة.

4–اختلاف الشرائع « الظاهرة » عن الشرك الأكبر في أنَّ اسم الكفر والشرك لا يلحق من أنكرها « أي الشرائع الظاهرة » إذا كان واحداً من ثلاثة « بادية بعيدة ، حديث عهد بإسلام ، الناشئ في بلاد الكفار » ، فلا ينفى عنه اسم الإسلام .

- أمَّا من أشرك فيلحقه اسم الشرك سواء قامت عليه الحجة أو لم تقم ولا يسمى مسلماً
- فمن قامت عليه الحجة لحقه اسم كفر القتل والتعذيب
- ومن لم تقم عليه الحجة لحقه اسم الشرك.

5–الجهل ليس بعذر في الشرك الأكبر وقد يكون عذراً في باب الشرائع على التفصيل المتقدم .أهـ

جاء في كتاب الجواهر المضية للشيخ محمد بن عبد الوهاب **(43/1)** :

وقولكم: لِمَ تُكفِّرُون مَن يعمل بفرائض الإسلام الخمس؟

فقد كان في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم مَن انتسب إلى الإسلام ثم مَرَقَ من الدين[4] كما في الحديث الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث البراء بن عازب معه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه؛ ليقتله ويأخذ ماله ، وقد انتسب إلى الإسلام وعمل به.

= ومثل قتال الصديق والصحابة –رضي الله عنهم– مانعي الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين بعد ما عملوا بشرائع الإسلام.

= ومثل اجتماع التابعين على قتل الجعد بن درهم وهو مشتهر بالعلم والدين إلى غير ذلك ، وقد جرى وقائع لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى.

= ومثل بني عُبَيْدٍ الذين ملكوا مصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالإسلام ، وصلاة الجمعة والجماعة ، ونصب القضاة والمفتين. لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا: لم يتوقف

[4] - كذا في الأصل وقد سقط منه الخبر أي كذلك يحكم بكفره ويقتل.

أحد من أهل العلم والدين عن قتالهم مع ادعائهم الملة ، ومع قولهم: لا إله إلا الله ، أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام إلا ما سمعنا منكم.

فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب وهو (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ، حتى ذكروا فيه أنواعا كثيرة كل نوع منها يُكَفِّر الإنسان ، ويحل دمه وماله ، حتى ذكروا أشياء يسيرة مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المَزْح واللعب ، والذين قال الله فيهم: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ}[5] الآية.

أسمعت! الله كفَّرَهم بكلمة مع كونهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يجاهدون معه ، ويصلون ، ويزكون ، ويصومون ، ويحجون ، ويوحدون الله سبحانه.

وكذلك الذين قال الله فيهم: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ}[6] الآية ، قالوا كلمة على وجه المزح واللعب[7] ، فصرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم ، وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك؛ فتأمل – أرشدك الله– من انتسب إلى الإسلام مرق من الإسلام؛ لما أظهر خلاف ذلك ، فكيف بما هو أظهر من ذلك؟ فإذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه مَن انتسب إلى الإسلام مَن مرق منه ، مع عبادته العظيمة ، حتى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم ، فعلم أن المُنْتَسِب إلى الإسلام في هذه الأزمان قد يمرق من الإسلام .أهـ

---

[5] - سورة التوبة آية: 74.

[6] - سورة التوبة آية: 65.

[7] - تلك الكلمة تتضمن تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم- أو الشك في نبوته، قيل: هي قول بعضهم: إن كان ما يقول محمد حقا فهم شر من الحمير، وقيل: هي استهزاؤهم بقتاله للروم، وعلى كل حال قد ثبت بالآية أن الذي يصلي ويصوم ويجاهد قد يُحْكَم بكفره بكلمة استهزاء بالدين أو بالرسول صلى الله عليه وسلم-.

جاء في كتاب مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (549/3) :

وأما قول المعترض: (وبما ذكرنا يعلم اختلاف الخليفتين في قتال مانع الزكاة أنه ليس على كفره بالمنع؛ بل هل يباح دمه بمنعه أم لا؟ فسلم بعد ذلك الفاروق للصدِّيق) .

فيقال لهذا الغبي الجاهل: ما وقع من عمر رضي الله عنه من التوقف في قتال مانعي الزكاة واستدلاله بالحديث على ترك القتال لا يدل على أنه يرى إسلام تارك الزكاة ، وقد ثبت عنه أنه صرح بتكفير تارك الحج ولم يقتله ، فمسألة القتال لا تستلزم تكفيرًا ، والتكفير لا يستلزم القتال هذا باعتبار أصل الخلاف ، وقد سلَّم الفاروق للصدِّيق والتزم ما ذهب إليه الصديق من وجوب القتال ، وصارت المسألة إجماعية ، وإذا أجمعوا على القتال فما المانع من التكفير؟

وقد تقدم كلام شيخ الإسلام في تكفير مانع الزكاة ، وأن الصحابة لم يفرقوا في التكفير والقتال بين من جحد الوجوب ، وبين من منعها ولم يؤدها ، مع اعترافه بالوجوب.

وقال أبو العباس رحمه الله أيضًا في الكلام على كفر مانع الزكاة (والصحابة لم يقولوا: هل أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها؟ هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة؛ بل قال الصدِّيق لعمر رضي الله عنهما: "والله لو منعوني عَنَاقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها" .

فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب.

وقد روي أن طوائف كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوا بها ، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة ، وهي قتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم ، وغنيمة أموالهم ، والشهادة على قتلاهم بالنار ، وسموهم جميعهم أهل الردة

وكان من أعظم فضائل الصدِّيق عندهم أن ثبَّته الله عند قتالهم ، ولم يتوقف كما توقف غيره ، فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله ، وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة ، فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم) .أ ه

جاء في الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب الرسالة 38 صفحة 271 :

فلا تغفلوا عن طلب التوحيد وتعلّمه ، واستعمال كتاب الله وإجالة الفكر فيه

وقد سمعتم من كتاب الله ما فيه عبرة ، مثل قولهم: نحن موحدون ، نعلم أن الله هو النافع الضار ، وأن الأنبياء وغيرهم لا يملكون نفعاً ولا ضرا ، لكن نريد الشفاعة. وسمعتم ما بيّن الله في كتابه في جواب هذا ، وما ذكر أهل التفسير وأهل العلم. وسمعتم قول المشركين: الشرك عبادة الأصنام ، وأما الصالحون فلا. وسمعتم قولهم: لا نريد إلا من الله ، لكن نريد بجاههم. وسمعتم ما ذكر الله في جواب هذا كله.

وقد منّ الله عليكم بإقرار علماء المشركين بهذا كله ، سمعتم إقرارهم أن هذا الذي يُفعل في الحرمين والبصرة والعراق واليمن ، أن هذا شرك بالله.

فأقروا لكم أن هذا الدين الذي ينصرون أهله ، ويزعمون أنهم السواد الأعظم ، أقروا لكم أن دينهم هو الشرك.

وأقروا لكم أيضاً أن التوحيد الذي يسعون في إطفائه ، وفي قتل أهله وحبسهم ، أنه دين الله ورسوله.

وهذا الإقرار منهم على أنفسهم من أعظم آيات الله ، ومن أعظم نعم الله عليكم ، ولا يبقى شبهة مع هذا إلا للقلب الميت الذي طبع الله عليه ، وذلك لا حيلة فيه.

ولكنهم يجادلونكم اليوم بشبهة واحدة ، فاصغوا لجوابها. وذلك أنهم يقولون: كل هذا حق. نشهد أنه دين الله ورسوله ، إلا التكفير والقتال.

والعجب ممن يخفى عليه جواب هذا! إذا أقروا أن هذا دين الله ورسوله ، كيف لا يكفر من أنكره ، وقتل من أمر به وحبسهم؟! كيف لا يكفر من أمر بحبسهم؟! كيف لا يكفر من جاء إلى أهل الشرك يحثهم على لزوم دينهم وتزيينه لهم ، ويحثهم على قتل الموحدين وأخذ

ماهم؟! كيف لا يكفر وهو يشهد أن الذي يحث عليه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أنكره ونهى عنه وسماه الشرك بالله ، ويشهد أن الذي يبغضه ويبغض أهله ويأمر المشركين بقتلهم هو دين الله ورسوله؟!

واعلموا أن الأدلة على تكفير المسلم الصالح إذا أشرك بالله ، أو صار مع المشركين على الموحدين ، ولو لم يشرك ، أكثر من أن تحصر ، من كلام الله وكلام رسوله ، وكلام أهل العلم كلهم.

وأنا أذكر لكم آية من كتاب الله أجمع أهل العلم على تفسيرها ، وأنها في المسلمين ، وأن من فعل ذلك فهو كافر في أي زمان كان ، قال تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالأِيمَانِ}[8] إلى آخر الآية ، وفيها: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ}[9] .

فإذا كان العلماء ذكروا أنها نزلت في الصحابة لما فتنهم أهل مكة ، وذكروا أن الصحابي إذا تكلم بكلام الشرك بلسانه ، مع بغضه لذلك وعداوة أهله ، لكن خوفاً منهم ، أنه كافر بعد إيمانه ، فكيف بالموحد في زماننا؟ إذا تكلم في البصرة أو الإحساء أو مكة أو غير ذلك ، خوفًا منهم ، لكن قبل الإكراه ، وإذا كان هذا يكفر ، فكيف بمن صار معهم وسكن معهم وصار من جملتهم؟ فكيف بمن أعانهم على شركهم وزينه لهم؟ فكيف بمن أمر بقتل الموحدين وحثهم على لزوم دينهم؟

فأنتم ، وفقكم الله ، تأملوا هذه الآية ، وتأملوا من نزلت فيه ، وتأملوا إجماع العلماء على تفسيرها ، وتأملوا ما جرى بيننا وبين أعداء الله ، نطلبهم دائماً الرجوع إلى كتبهم التي بأيديهم في مسألة التكفير والقتال ، فلا يجيبوننا إلا بالشكوى عند الشيوخ وأمثالهم. والله أسأل أن يوفقكم لدينه ويرزقكم الثبات عليه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.أهـ

---

[8] - سورة النحل الآية 106.
[9] - سورة النحل الآية 107.

جاء في الدرر السنية نقلا عن ابن عبد الوهاب (410/12):

وقال أبو العباس ، في كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم" ، في الكلام على قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾: ظاهره: أن ما ذبح لغير الله ، سواء لفظ به أو لم يلفظ حرام ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم ، وقال فيه باسم المسيح ونحوه ، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله ، أزكى مما ذبحناه للحم ، وقلنا عليه بسم الله ، فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له ، أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور.

والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله

فلو ذبح لغير الله متقربا إليه لحرم ، وإن قال فيه: بسم الله ، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة ، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبائحهم بحال ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها ، من الذبح للجن ، انتهى كلام الشيخ ، وهو الذي ينسب إليه بعض أعداء الدين ، أنه لا يكفر المعين. فانظر أرشدك الله إلى تكفيره ، من ذبح لغير الله من هذه الأمة ، وتصريحه أن المنافق يصير مرتدا لذلك ، وهذا في المعين ، إذ لا يتصور أن تحرم إلا ذبيحة معين.

وقال أيضا في الكتاب المذكور: وكانت الطواغيت الكبار ، التي تشد إليها الرحال ثلاثة ، اللات والعزى ومناة ، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب. فكانت اللات لأهل الطائف ، ذكروا أنه كان في الأصل رجلا صالحا يلت السويق للحاج ، فلما مات عكفوا على قبره. وأما العزى فكانت لأهل مكة ، قريبا من عرفات؛ وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون. وأما مناة فكانت لأهل المدينة ، وكانت حذو قديد من ناحية الساحل.أهـ

**** التأكيد أن لفظة لا يكفر ليس معناها أنه مسلم**

الدرر السنية في الأجوبة النجدية 4/ 409:

وأجاب الشيخ عبد الله والشيخ إبراهيم: ابنا الشيخ عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان:

لا تصح إمامة من لا يكفر الجهمية والقبوريين أو يشك في كفرهم؛ وهذه المسألة من أوضح الواضحات عند طلبة العلم وأهل الأثر، وذكروا نحواً مما تقدم من كلام الشيخ عبد اللطيف، ثم قالوا: وكذلك القبوريون لا يشك في كفرهم من شم رائحة الإيمان؛ وقد ذكر شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم، رحمهما الله، في غير موضع:

أن نفي التكفير بالمكفرات قوليها وفعليها، فيما يخفى دليله ولم تقم الحجة على فاعله، وأن النفي يراد به نفي تكفير الفاعل وعقابه قبل قيام الحجة عليه، وأن نفي التكفير مخصوص بمسائل النّزاع بين الأمة.

وأما دعاء الصالحين، والاستغاثة بهم، وقصدهم في الملمات والشدائد، فهذا لا ينازع مسلم في تحريمه، والحكم بأنه من الشرك الأكبر؛ فليس في تكفيرهم، وتكفير الجهمية قولان. وأما الإباضية في هذه الأزمان، فليسوا كفرقة من أسلافهم، والذي بلغنا أنهم على دين عباد القبور، وانتحلوا أموراً كفرية لا يتسع ذكرها هنا.

ومن كان بهذه المثابة، فلا شك في كفره؛ فلا يقول بإسلامهم إلا مصاب في عقله ودينه، ولا تصح خلف من لا يرى كفر هؤلاء الملاحدة ، أو يشك في كفرهم.

جاء في المختصر المفيد في عقائد أئمة لتوحيد لأبي يوسف مدحت بن الحسن آل فراج ؛ تقديم الشيخ عبد الله السعد :

المشرك الجاهل ، الذي لم تقم عليه حجة البلاغ لا يكون مسلمًا ، ولو نطق بالشهادتين ، واستقبل القبلة ، وقام ببعض الفرائض ، إلا أنه لا يعين بالكفر المستلزم للعقوبة إلا بعد إقامة الحجة.

إذا وقع العبد في عبادة غير الله جاهلاً ، ولم تقم عليه حجة البلاغ ، في وقت يقاس فيه أهله بأهل الفترات ، فهذا العبد لا يحكم عليه بالكفر حتى تقام عليه الحجة ، ولكن هذا لا يستلزم الحكم له بالإسلام ، لا وكلا ، لأن للإسلام حد ، من قام به كان من أهله ، ومن لم يقم به تحت أي شبهة من الشبهات فهو خارج من عداد المسلمين ، وماثل في عداد المشركين.

إذا تمهَّد هذا ، فنقول: إن هذا العبد لا يكون كافرًا إلاَّ بعد قيام الحجة ، لأن الكفر وصف ومعنى متضمن للرد والإنكار والتكذيب المستلزم للعقوبة ، وهذا لا يكون إلاَّ بعد بلوغ الرسالة وإقامة الحجة ، وكذلك الحكم بالخلود في النيران لمن مات على الكفر دون توبة منه ، فهو أيضًا لا يكون إلاَّ بعد قيام الحجة بالرسل.

فالمشرك الجاهل الذي لم تقم عليه حجة البلاغ ، لا يكون مسلمًا ، وإن نطق بالشهادتين ، واستقبل القبلة ، وقام ببعض الفرائض.

وهذا هو المقصود المتعين من كلام الأئمة: كابن تيمية ، وابن القيم ، ومحمد بن عبد الوهاب ، وأحفاده.

ولذلك عندما يطلق هؤلاء الأئمة: القول بعدم تكفير المعين ، من الذين وقعوا في عبادة غير الله ، حتى تقام عليه الحجة ، فمقصودهم الأكيد في هذا الشأن هو: الكفر المستلزم للعقوبة في الدنيا ، والخلود في النيران في الآخرة.

وكما قطع هؤلاء الأئمة بعدم تكفير المعيَّن ، الذي وقع في عبادة غير الله ، حتى تقام عليه الحجة ، فنجدهم قد جزموا أيضًا بعدم إسلامه ، وأثبتوا له حكم الشرك ووصفه ، ولو لم تقم عليه حجة البلاغ.

فهؤلاء المشركون الجاهلون يعاملون ، معاملة أهل الفترات ، سواء بسواء في الدنيا والآخرة.

وبهذا التفصيل ، يزول الإشكال في هذه المسألة بالكلية ، أما الذين يريدون الدفع: في نحر نصوص الشريعة الواضحة الحاكمة بعكازة قضايا الأعيان ، والأدلة والأقوال المطلقة من غير تقييد ، فشأنهم وما ارتضوه لأنفسهم ، إلاَّ أن هذا ليس من الإسلام في شيء ، ونقول لهم: أين المفر ... والإله الطالب

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى: « إن كلام الشيخين – أي ابن تيمية وابن القيم – في كل موضع فيه البيان الشافي أن نفي التكفير بالمكفِّرات قولها وفعلها فيما يخفى دليله ، ولم تقم الحجة على فاعله

- وأن النفي يراد به نفي تكفير الفاعل وعقابه ، قبل قيام الحجة
- وأن نفي التكفير مخصوص بمسائل النزاع بين الأمة
- وأما دعاء الصالحين ، والاستغاثة بهم ، وقصدهم في الملمَّات والشدائد ، فهذا لا ينازع مسلم في تحريمه ، أو الحكم بأنه من الشرك الأكبر
- وتقدم عن الشيخ أن فاعله يستتاب فإن تاب وإلاَّ قُتل ، كما في عبارة الرسالة السنية ، وتقدم قوله: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم ، كفر إجماعًا
- وتقدم قوله في الرد على المتكلمين: وهذا إذا كان في المسائل الخفية ، فقد يقال إنه خفي عليهم ، ولكنه يقع منهم في مسائل يعلم الخاصة والعامة أن الرسول قد جاء بها...

إلخ. وهذا عين كلام شيخنا محمد بن عبد الوهاب ضاعف الله لنا وله الثواب ، وأدخلنا وإياه الجنة بغير حساب ، على رغم كل مبير وكذاب»[10] .أهـ

---

[10] - « منهاج التأسيس والتقديس»: (ص315).

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة (220/1):

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

(السؤال الثاني من الفتوى رقم 4400)

س: هناك من يقول: كل من يتقيد برسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – واستقبل القبلة بالصلاة، ولو سجد لشيخه لم يكفر، ولم يسمِّه مشركًا حتى قال: إن محمد بن عبد الوهاب الذي يتكلم في المشركين في خلودهم في النار إذا لم يتوبوا قد أخطأ وغلط ، وقال: إن المشركين في هذه الأمة يعذبهم ثم يخرجهم إلى الجنة، وقال: إن أمة محمد لم يخلد فيهم أحد في النار .

ج: كل من آمن برسالة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وسائر ما جاء به في الشريعة

- **إذا سجد بعد ذلك لغير الله من ولي وصاحب قبر أو شيخ طريق يعتبر كافرًا مرتدًا عن الإسلام مشركًا مع الله غيره في العبادة ، ولو نطق بالشهادتين وقت سجوده ؛ لإتيانه بما ينقض قوله من سجوده لغير الله**

- **لكنه قد يعذر لجهله فلا تنزل به العقوبة حتى يعلم ، وتقام عليه الحجة، ويمهل ثلاثة أيام إعذارًا إليه ليراجع نفسه عسى أن يتوب، فإن أصرَّ على سجوده لغير الله بعد البيان قتل لردته لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : « من بدَّل دينه فاقتلوه » أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما.**

- **فالبيان وإقامة الحجة للإعذار إليه قبل إنزال العقوبة به ، لا ليسمَّى كافرًا بعد البيان**

فإنه يسمَّى كافرًا بما حدث منه من سجود لغير الله ، أو نذره قربة ، أو ذبحه شاة مثلاً لغير الله.

وقد دل الكتاب والسنة على أن من مات على الشرك لا يغفر له ويخلد في النار لقوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} [النساء: 48]، إلى قوله: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} [التوبة: 17].

وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو ... عضو ... نائب رئيس اللجنة ... الرئيس

عبد الله بن قعود ... عبد الله بن غديان ... عبد الرزاق عفيفي ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز

في فتاوى نور على الدرب (187/2):

85 – حكم من مات وهو يسأل أصحاب القبور شفاء المرضى وتفريج الكرب

س: الأخ: ط إ. إ. يسأل ويقول: أرجو منكم التعليق على ما يقع فيه الكثير من الناس من عابدي القبور والأضرحة من صرف العمل لها وسؤال أصحابها شفاء المرضى وتفريج الكرب، فهل من مات وحالته هذه يكون خالدا في جهنم؟ وهل يعذر جاهل بهذه القضية؟ (السؤال الثالث والعشرون من الشريط، رقم 243)

ج: هذا سؤال عظيم، وجدير بالعناية؛ لأنه واقع في كثير من البلدان الإسلامية، وهو سؤال الأموات والاستغاثة بالأموات وطلبهم شفاء المرضى، أو النصر على الأعداء

وهذا من الشرك الأكبر، وهذا دين الجاهلية، دين أبي جهل وأشباهه من عباد القبور وعباد الأصنام، يقولون: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} (2) ؛ كما حكى الله عنهم سبحانه وتعالى، قال الله جل وعلا: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} (3) ؛ وقال سبحانه في سورة الزمر: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} (4)

فالحاصل أن هذا العمل من الشرك الأكبر، وصاحبه إذا مات عليه يكون من أهل النار مخلدا فيها، نسأل الله العافية، إلا إذا كان لم تبلغه الدعوة، كان من أهل الفترات الذين ما بلغتهم الدعوة، وما بلغهم القرآن، ولا كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا حكمه إلى الله جل وعلا يوم القيامة، يمتحن يوم القيامة، فمن أجاب جوابا صحيحا دخل الجنة، ومن أجاب جوابا غير صحيح دخل النار.

فالمقصود أنه يمتحن يوم القيامة، فمن أجاب بما طلب منه دخل الجنة، ومن عصى دخل النار. أما من كان في الدنيا وقد بلغه القرآن وبلغته السنة ويعيش بين المسلمين فهذا لا يعذر بدعواه الجهل، هو قد أسرف على نفسه وتساهل، ولم يسأل أهل العلم ولم يتبصر في دينه فهو مؤاخذ بأعماله السيئة الشركية، نسأل الله السلامة.

العقائد التي هي أصل الإسلام ليس فيها عذر بالجهل؛ الله جل وعلا قال عن الكفار: {إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} (1) ما عذرهم بحسبانهم أنهم مهتدون ما عذرهم بجهلهم وقال في النصارى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا} (2) {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} (3) ، فالحاصل أنهم بهذا كفروا، قال بعد هذا سبحانه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} (4) {ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا} (5)

ما عذرهم بالجهل لتساهلهم وعدم عنايتهم بطلب الحق، قال سبحانه: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} (1) ، وقال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده

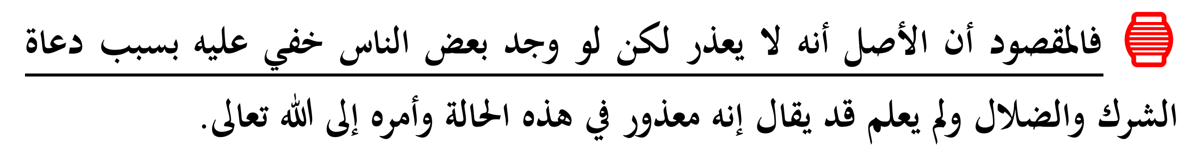
لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » . رواه مسلم في صحيحه، ولم يقل: " وفهم عني " أو " تبصر " أو " علم " بل علق بالسماع.

جاء في أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر للراجحي:

السؤال الرابع عشر : ما حكم من يدعو غير الله وهو يعيش بين المسلمين وبلغة القرآن ، فهل هذا مسلم تلبس بشرك أم هو مشرك ؟

الجواب :

- **هذا الشخص مشرك ؛ لأنه غير معذور إذا كان يعيش بين المسلمين لقول الله –Y– : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ فمن بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾**
- **فمن بلغه القرآن وبلغته الدعوة وفعل الشرك وهو يعيش بين المسلمين فإنه مشرك .**
- **وقال بعض أهل العلم : إن الشخص إذا كان يخفى عليه ما وقع فيه من الشرك بسبب دعاة الضلال والإشراك وبسبب كثرة المضلين حوله وخفي عليه الأمر**
- **فإنه في هذه الحالة يكون أمره إلى الله – Y – فيكون حكمه حكم أهل الفترة إذا لم يعلم**
- **ولكنه إذا مات يعامل معاملة المشركين فلا يُغسَّل ولا يُصلى عليه ولا يدفن مع المسلمين في مقابرهم .**



فالمقصود أن الأصل أنه لا يعذر لكن لو وجد بعض الناس خفي عليه بسبب دعاة الشرك والضلال ولم يعلم قد يقال إنه معذور في هذه الحالة وأمره إلى الله تعالى.

وبكل حال يجب عليه أن يطلب الحق ويتعرف عليه ويسعى له كما أنه يسعى في معيشته ويسأل عن طرق الكسب فيجب عليه أن يسأل عن دينه ويسأل عن الأمر الذي أشكل عليه.

وكونه لم يسمع الحق ولم يقبل الحق وتصامم عن سماع الحق فليس هذا عذرا له ؛ هذا هو الأصل .أهـ

جاء في شرح رسالة كتاب الإيمان للراجحي:

هذا السؤال يقول: هل يعذر عوامُّ الصوفية وعوامُّ أهل القبور بالجهل ؟ أظن الآن في العصر الحاضر أنه بلغتهم الدعوة، ومن بلغتهم الدعوة، وبلغتهم الحجة، وبلغهم القرآن والسنة، فلا يعذرون، إنما الذي يعذر في هذا من لم تبلغه الحُجَّة من كتاب الله وسنة رسوله – ρ– قال الله –تعالى–: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)

وقد بعث الرسول، قال –سبحانه–: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾

فمن بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجة، وقال –عليه الصلاة والسلام– في الحديث الصحيح: والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار .

فمن قامت عليه الحجة، وبلغه الدليل، فلا يكون معذورًا، ولا يشترط معرفة فهم الحجة، بل يكفي بلوغ الحجة، يعلم أن هذا دليل على هذا الشيء

لكن بعض أهل العلم قال: إنه لو وجد بعض الناس اشتبه عليه الأمر، ولبس عليه الحق؛ بسبب الكفرة والمشركين، ولم يعرف الحق، واشتبه عليه الأمر، وصار بسبب تغطية الحق

عليه وسيطرة أهل الضلال وأهل الشرك عليه، حتى أفهموه أن هذا الباطل هو الحق، فإنه يكون حكمه حكم أهل الفترات، ويكون أمره إلى الله – Y –

ولكنه إذا مات على هذه الحالة فلا يغسَّل، ولا يصلى عليه، ولا يدفن مع المسلمين في مقابرهم، ولا يُدْعى له، وأمره إلى الله.

وبكل حال فمن بلغته الدعوى، وبلغه القرآن، وبلغته السُّنَّة، وعلم أن هذا الأمر محرَّم، فإنه لا يكون معذورًا، والدعوى الآن بلغت مشارق الأرض ومغاربها –دعوة الإسلام–

لكن كون بعض المشركين يصمُّ أذنه عن سماع الحق، ولا يقبل الحق، ويرد الحق، ليس عذرًا له

فيجب على الإنسان أن يتعرف على الحق، ويطلب الحق، ويسأل عن الحق، ويسأل عن دينه، كما أنه يسأل عن أمور دنياه في كسبه ومعاشه وبيعه وشراءه، كذلك يجب عليه أن يتعلم دينه، وأن يسأل عما أشكل عليه، وأن يبحث عن الحق، وأن يريد الحق، إذا كان يريد الحق يكون معذورًا

وإذا كان يستطيع أن يعرف الحق، ويستطيع أن يسأل، ويجد من يسأل، ولا يسأل، فلا يكون معذورًا

لكن لو كان الإنسان أراد الحق، ولم يجد من يسأله، وتعذر عليه معرفة الحق، وظن أن ما هو عليه هو الحق، والتبس عليه الأمر بسبب تغطية الحق عليه من قِبَل أهل الشرك وأهل الضلال وأهل الكفر وعلماء الشرك، فذهب بعض أهل العلم إلى أنه يكون حكمه حكم أهل الفترات .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (87/20):

واعلم أن الكفر بعضه أغلظ من بعض ؛ فالكافر المكذب أعظم جرما من الكافر غير المكذب ؛ فإنه جمع بين ترك الإيمان المأمور به وبين التكذيب المنهي عنه ؛ ومن كفر وكذب وحارب الله ورسوله والمؤمنين بيده أو لسانه أعظم جرما ممن اقتصر على مجرد الكفر والتكذيب ؛ ومن كفر وقتل وزنى وسرق وصد وحارب كان أعظم جرما .

كما أن الإيمان بعضه أفضل من بعض والمؤمنون فيه متفاضلون تفاضلا عظيما وهم عند الله درجات كما أن أولئك دركات ؛ فالمقتصدون في الإيمان أفضل من ظالمي أنفسهم ؛ والسابقون بالخيرات أفضل من المقتصدين ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ الآيات ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ﴾ .

وإنما ذكرنا أن أصل الإيمان مأمور به

& وأصل الكفر نقيضه وهو ترك هذا الإيمان المأمور به ؛ وهذا الوجه قاطع بين .أهـ

جاء في مجموع الفتاوى (166/1):

ولفظ " الضلال " إذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله : { إنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون } وقوله : { ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا } وقوله : { فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى } .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (79/2):

﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين * قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .
فأخبر سبحانه : عن مناظرة الكفار للرسل في الربوبية أولا فإنهم في شك من الله الذي يدعونهم إليه وفي النبوة ثانيا بقولهم : ﴿ إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴾ وهذا بحث كفار الفلاسفة بعينه ؛ وإن كان مكذبا له فهو التكذيب ؛ والتكذيب أخص من الكفر . فكل مكذب لما جاءت به الرسل فهو كافر
وليس كل كافر مكذبا بل قد يكون مرتابا إن كان ناظرا فيه أو معرضا عنه بعد أن لم يكن ناظرا فيه وقد يكون غافلا عنه لم يتصوره بحال[11]
لكن عقوبة هذا موقوفة على تبليغ المرسل إليه . وكل واحد من الأمرين في أن يضم إلى المعرفة المجملة إما تكذيب وإما كفر بلا تكذيب[12] .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى في فصل في تكفير أهل البدع والأهواء :(494/12)

وأيضا فقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من الخطأ في الدين ما لا يكفر مخالفه ؛ بل ولا يفسق ؛ بل ولا يأثم ؛ مثل الخطأ في الفروع العملية ؛ وإن كان بعض المتكلمة والمتفقهة يعتقد أن المخطئ فيها آثم وبعض المتكلمة والمتفقهة يعتقد أن كل مجتهد فيها مصيب فهذان القولان شاذان ومع ذلك فلم يقل أحد بتكفير المجتهدين المتنازعين

---

[11] - وهذا الجاهل جهلا بسيطا أو مركبا أدرجه ابن تيمية في الكافرين !!

[12] - ويستحيل على القائلين بالعذر بالجهل إيجاد هذا القسم « كفر بلا تكذيب ». لأنهم لا يكفرون إلا الذي بان له النص فكذبه وعانده وأصر على ما هو عليه.

فيها ومع ذلك فبعض هذه المسائل قد ثبت خطأ المنازع فيها بالنصوص والإجماع القديم مثل استحلال بعض السلف والخلف لبعض أنواع الربا واستحلال آخرين لبعض أنواع الخمر واستحلال آخرين للقتال في الفتنة .

وأهل السنة والجماعة متفقون على أن المعروفين بالخير كالصحابة المعروفين وغيرهم من أهل الجمل وصفين من الجانبين لا يفسق أحد منهم فضلا عن أن يكفر حتى عدى ذلك من عداه من الفقهاء إلى سائر أهل البغي فإنهم مع إيجابهم لقتالهم منعوا أن يحكم بفسقهم لأجل التأويل كما يقول هؤلاء الأئمة : إن شارب النبيذ المتنازع فيه متأولا لا يجلد ولا يفسق . وقد قال تعالى : ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ وقال تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ . وثبت في الصحاح من حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة ψ عن النبي ρ أنه قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . وثبت في الصحيح عن بريدة بن الحصيب أن النبي ρ قال : « إذا حاصرت أهل حصن فسألوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك فإنك لا تدري ما حكم الله فيهم » وأدلة هذا الأصل كثيرة لها موضع آخر .

وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من بلغته رسالة النبي ρ فلم يؤمن به فهو كافر[13] لا يقبل منه الاعتذار بالاجتهاد لظهور أدلة الرسالة وأعلام النبوة ؛ ولأن العذر بالخطأ حكم شرعي فكما أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر والواجبات تنقسم إلى أركان وواجبات ليست أركانا : فكذلك الخطأ ينقسم إلى مغفور وغير مغفور[14] ؛

---

[13] - / : عيناً لا نوعاً .

[14] - / : !! هل بعد هذا بيان في أنه ليس كل مخطئ معذور ؟ ؛ فإذا لم يعذره بخطئه في الرسالة فلأن لا يعذره بخطئه في توحيد الألوهية أولى ؛ وهذا بالفعل ما كرره ابن تيمية في فتاويه حيث لا يذكر مسألة التعريف أو العذر إلا في مسائل الفروع المتنازع

والنصوص إنما أوجبت رفع المؤاخذة بالخطأ لهذه الأمة وإذا كان كذلك فالمخطئ في بعض هذه المسائل: إما أن يلحق بالكفار من المشركين وأهل الكتاب مع مباينته لهم في عامة أصول الإيمان [15] ؛ وإما أن يلحق بالمخطئين في مسائل الإيجاب والتحريم مع أنها أيضا من أصول الإيمان .

فإن الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة ؛ : هو من أعظم أصول الإيمان وقواعد الدين والجاحد لها كافر بالاتفاق مع أن المجتهد في بعضها ليس بكافر بالاتفاق مع خطئه ؛ وإذا كان لا بد من إلحاقه بأحد الصنفين فإلحاقه بالمؤمنين المخطئين أشد شبهاً من إلحاقه بالمشركين وأهل الكتاب[16] .

وعلى هذا مضى عمل الأمة قديما وحديثا في أن عامة المخطئين من هؤلاء تجري عليهم أحكام الإسلام التي تجري على غيرهم هذا مع العلم بأن كثيرا من المبتدعة منافقون النفاق الأكبر وأولئك كفار في الدرك الأسفل من النار فما أكثر ما يوجد في الرافضة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون ؛ بل أصل هذه البدع هو من المنافقين الزنادقة ممن يكون أصل زندقته عن الصابئين والمشركين فهؤلاء كفار في الباطن ومن علم حاله فهو كافر في الظاهر أيضا .

وأصل ضلال هؤلاء[17] الأعراض عما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة وابتغاء الهدى في خلاف ذلك فمن كان هذا أصله فهو بعد بلاغ الرسالة [18] كافر لا ريب فيه

فيها وأما أصل الأصول وهو تحقيق التوحيد ونفي الشرك فلا يذكر فيها العذر ولا التعريف ويساوي فيها بين النوع والعين.

[15] - / : أي : مع انتسابه للإسلام وإقامته للشعائر مثل الصلاة والقبلة والذبيحة . (ولا يتصور المخالفة في مسائل الأصول - مع بقاء الإنتساب للإسلام وفعل الشعائر - إلا من الجاهل ؛ فلو كان عالما بكفره لكفاه مؤنة هذه العبادات والشعائر)

[16] - / : الجملة هذه صواب كما ذكرت ؛ وهي في بعض النسخ فيها خطأ صوبته هنا من نسخة أخرى.

[17] - / : المبتدعون السابق ذكرهم في الفقرة السابقة.

[18] - / : هل يتكلم على من نقضوا أصل الدين وأتوا بالشرك ؟! ؛ أم المبتدعة من الرافضة والجهمية؟!.

مثل من يرى أن الرسالة للعامة دون الخاصة كما يقوله قوم من المتفلسفة وغالية المتكلمة والمتصوفة ؛ أو يرى أنه رسول إلى بعض الناس دون بعض كما يقوله كثير من اليهود والنصارى .

فهذا الكلام يمهد أصلين عظيمين : " أحدهما " أن العلم والإيمان والهدى فيما جاء به الرسول وأن خلاف ذلك كفر على الإطلاق فنفي الصفات كفر والتكذيب بأن الله يرى في الآخرة أو أنه على العرش أو أن القرآن كلامه أو أنه كلم موسى أو أنه اتخذ إبراهيم خليلا كفر وكذلك ما كان في معنى ذلك[19] وهذا معنى كلام أئمة السنة وأهل الحديث.

و " الأصل الثاني " أن التكفير العام - كالوعيد العام - يجب القول بإطلاقه وعمومه . وأما الحكم على المعين بأنه كافر أو مشهود له بالنار : فهذا يقف على الدليل المعين فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه[20] . أهـ

---

[19] - / : هل ذكر عبادة غير الله ؟! ؛ أم أن هذه مسائل قال بها الجهمية والأشعرية؟!

[20] - الكلام على السابق ذكرهم من أهل البدع من نفاة الصفات من الجهمية وغلاة الأشاعرة ؛ وإلا فقد قال في أول الفتوى أن من المجتهدين المخطئين مشركين ، حيث قال:« فالمخطئ في بعض هذه المسائل: إما أن يلحق بالكفار من المشركين وأهل الكتاب مع مباينته لهم في عامة أصول الإيمان ».

** تصريح ابن تيمية بالتكفير للمعين في الأمور الواضحة دون ذكر للعذر

** نقولات صريحة في عدم العذر في الشرك

الإخنائية أو الرد على الإخنائي ت العنزي ص205:

ونهى عن اتخاذها مساجد لئلا يفضي ذلك إليه؟ فمعلوم أن صاحبه أحق باللعنة والنهي، وهذا كما أنه نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، وقال:(فإنها تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار). ونهى عن تحري الصلاة في هذا الوقت لما فيه من مشابهة الكفار في الصورة، وإن كان المصلي يقصد السجود لله لا للشمس، لكن نهى عن المشابهة في الصورة لئلا يفضي إلى المشاركة في القصد. فإذا قصد الإنسان السجود للشمس وقت طلوع الشمس ووقت غروبها كان أحق بالنهي والذم والعقاب، ولهذا يكون هذا كافرًا.

كذلك من دعا غير الله وحج إلى غير الله هو أيضًا مشرك ، والذي فعله كفر، لكن قد لا يكون عالمًا بأن هذا شرك محرم.

كما أن كثيرًا من الناس دخلوا في الإسلام من التتار وغيرهم وعندهم أصنام لهم صغار من لبد وغيره وهم يتقربون إليها ويعظمونها ولا يعلمون أن ذلك محرم في دين الإسلام، ويتقربون إلى النار أيضًا ولا يعلمون أن ذلك محرم ، فكثير من أنواع الشرك قد يخفى على بعض من دخل في الإسلام ولا يعلم أنه شرك، فهذا ضال وعمله الذي أشرك فيه باطل، لكن لا يستحق العقوبة حتى تقوم عليه الحجة .

قال تعالى: { فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون } [سورة البقرة: (22)]، وفي صحيح أبي حاتم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الشرك في هذه الأمة أخفى

من دبيب النمل) فقال أبو بكر [رضي الله عنه]: يا رسول الله كيف ننجو منه؟ قال: (قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم)

وكذلك كثير من الداخلين في الإسلام يعتقدون أن الحج إلى قبر بعض الأئمة والشيوخ أفضل من الحج أو مثله، ولا يعلمون أن ذلك محرم ولا بلغهم أحد أن هذا شرك محرم لا يجوز. وقد بسطنا الكلام في هذا في مواضع .

والمقصود هنا أن هؤلاء المشركين الذين يجعلون أصحاب القبور وسائط يشركون [بهم كما يشرك أصحاب الأوثان بأوثانهم يدعونهم ويستشفعون بهم ويرجونهم ويخافونهم وقد جعلوهم أندادًا يحبونهم كحب الله، هم الذين يقولون لمن نهى عن هذا الشرك وأمر بعبادة الله وحده إنه تنقصهم وعاداهم وعاندهم ، كما يزعم النصارى أن من جعل المسيح عبدًا لله لا يملك ضرًّا ولا نفعًا إنه قد تنقص المسيح وعاداه وسبه وعانده.

وأما من عرف أن الأنبياء نهوا عن الشرك فأطاعهم واتبع سبيلهم وعبد الله وحده فهذا يمتنع أن يقول هذا تنقص ومعاداة.

فهذا الفرقان هو الذي يفصل بين عباد الرحمن وعباد الشيطان .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى تصور الشيطان بصورة المدعو .. (47/19):

وكثيرا ما يتصور الشيطان بصورة المدعو المنادى المستغاث به إذا كان ميتا . وكذلك قد يكون حيا ولا يشعر بالذي ناداه ؛ بل يتصور الشيطان بصورته فيظن المشرك الضال المستغيث بذلك الشخص أن الشخص نفسه أجابه وإنما هو الشيطان وهذا يقع للكفار المستغيثين بمن يحسنون به الظن من الأموات والأحياء كالنصارى المستغيثين بجرجس وغيره من قداديسهم ويقع لأهل الشرك والضلال من المنتسبين إلى الإسلام الذين يستغيثون بالموتى والغائبين يتصور لهم الشيطان في صورة ذلك المستغاث به وهو لا يشعر . وأعرف عددا كثيرا وقع لهم في عدة أشخاص يقول لي كل من

الأشخاص : أني لم أعرف أن هذا استغاث بي والمستغيث قد رأى ذلك الذي هو على صورة هذا وما اعتقد أنه إلا هذا .

وذكر لي غير واحد أنهم استغاثوا بي كل يذكر قصة غير قصة صاحبه فأخبرت كلا منهم أني لم أجب أحدا منهم ولا علمت باستغاثته فقيل:

هذا يكون ملكا فقلت : الملك لا يغيث المشرك إنما هو شيطان أراد أن يضله .

وكذلك يتصور بصورته ويقف بعرفات فيظن من يحسن به الظن أنه وقف بعرفات وكثير منهم حمله الشيطان إلى عرفات أو غيرها من الحرم فيتجاوز الميقات بلا إحرام ولا تلبية ولا يطوف بالبيت ولا بالصفا والمروة وفيهم من لا يعبر مكة وفيهم من يقف بعرفات ويرجع ولا يرمي الجمار إلى أمثال ذلك من الأمور التي يضلهم بها الشيطان حيث فعلوا ما هو منهي عنه في الشرع إما محرم وإما مكروه ليس بواجب ولا مستحب وقد زين لهم الشيطان أن هذا من كرامات الصالحين وهو من تلبيس الشيطان فإن الله لا يعبد إلا بما هو واجب أو مستحب وكل من عبد عبادة ليست واجبة ولا مستحبة وظنها واجبة أو مستحبة فإنما زين ذلك له الشيطان وإن قدر أنه عفا عنه لحسن قصده واجتهاده لكن ليس هذا مما يكرم الله به أولياءه المتقين إذ ليس في فعل المحرمات والمكروهات إكرام بل الإكرام حفظه من ذلك ومنعه منه ؛ فإن ذلك ينقصه لا يزيده وإن لم يعاقب عليه بالعذاب فلا بد أن يخفضه عما كان ويخفض أتباعه الذين يمدحون هذه الحال ويعظمون صاحبها فإن مدح المحرمات والمكروهات وتعظيم صاحبها هو من الضلال عن سبيل الله وكلما ازداد العبد في البدع اجتهادا ازداد من الله بعدا لأنها تخرجه عن سبيل الله ؛ سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلى بعض سبيل المغضوب عليهم والضالين .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (345/11):

وكثير مما ابتدعه الناس من العقائد والأعمال من بدع أهل الكلام وأهل التصوف وأهل الرأي وأهل الملك حسبوه منفعة أو مصلحة نافعا وحقا وصوابا ولم يكن كذلك.

بل كثير من الخارجين عن الإسلام من اليهود والنصارى والمشركين والصابئين والمجوس يحسب كثير منهم أن ما هم عليه من الاعتقادات والمعاملات والعبادات مصلحة لهم في الدين والدنيا ومنفعة لهم { الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا } وقد زين لهم سوء عملهم فرأوه حسنا .

فإذا كان الإنسان يرى حسنا ما هو سيئ كان استحسانه أو استصلاحه قد يكون من هذا الباب . وهذا بخلاف الذين جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا .

فإن باب جحود الحق ومعاندته غير باب جهله والعمى عنه والكفار فيهم هذا وفيهم هذا وكذلك في أهل الأهواء من المسلمين القسمان .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (6/20):

فالدعوة والعبادة اسم جامع لغاية الحب لله وغاية الذل له ؛ فمن ذل له من غير حب لم يكن عابدا بل يكون هو المحبوب المطلق ؛ فلا يحب شيئا إلا له ؛ ومن أشرك غيره في هذا وهذا لم يجعل له حقيقة الحب فهو مشرك [21] ؛ وإشراكه يوجب نقص الحقيقة . كقوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ الآية . والحب يوجب الذل والطاعة.

والإسلام : أن يستسلم لله لا لغيره .

فمن استسلم له ولغيره فهو مشرك.

ومن لم يستسلم له فهو متكبر وكلاهما ضد الإسلام .

---

[21]/ : معين بدليل الضمير.

والقلب لا يصلح إلا بعبادة الله وحده وتحقيق هذا تحقيق الدعوة النبوية .

ومن المحبة الدعوة إلى الله ؛ وهي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم بما أمروا به فالدعوة إليه من الدعوة إلى الله تعالى .

وما أبغضه الله ورسوله فمن الدعوة إلى الله النهي عنه ؛ ومن الدعوة إلى الله أن يفعل العبد ما أحبه الله ورسوله ويترك ما أبغضه الله ورسوله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة بما أخبر به الرسول ρ من أسماء الله وصفاته ومن سائر المخلوقات كالعرش والكرسي ؛ والملائكة والأنبياء وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .أهـ

قال ابن تيمية في الرد على المنطقيين (292/1):

فالمرسلون صلوات الله عليهم أجمعين أولهم وأخرهم بعثوا بدين الإسلام

وهو " عبادة الله وحدة لا شريك له " ؛ يعبد في كل وقت بما أمر أن يعبد به في ذلك الوقت ؛ فالصلاة إلى بيت المقدس كان لما أمر الله به من دين الإسلام ثم لما نهى عنه وأمر بالصلاة إلى الكعبة صارت الصلاة إلى الكعبة من دين الإسلام دون الصلاة إلى الصخرة .

فتنوع شرائع الأنبياء كتنوع الشريعة الواحدة ولهذا قال تعالى: ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ المائدة ؛ فالشرعة الشريعة ، والمنهاج الطريق والسبيل ؛ فالشرعة كالباب الذي يدخل منه والمنهاج كالطريق الذي يسلك فيه ؛ والمقصود هو حقيقة الدين بان يعبد الله وحده لا شريك له وهذه الحقيقة الدينية التي اتفق عليها الرسل هي دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره.

والشرك الذي حرمه على السن رسله أن يعبد مع الله غيره ومن لم يعبد الله أصلا كفرعون ونحوه ممن قال الله فيهم ﴿ إن الذي يستكبرون عن عبادتي

سيدخلون جهنم داخرين ﴾ غافر60 ؛ فهؤلاء معطلة وهم شر الكفار ومع هذا يكون لهم ما يعبدونه دون الله كما قال تعالى في قوم فرعون ﴿ ويذرك والهتك ﴾ الأعراف فقال غير واحد من السلف كان له آلهة يعبدها .

ومن عبد مع الله إلها آخر فهو[22] مشرك[23] الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ؛ وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خالق العالم وهذا كان شرك العرب كما أخبر الله عنهم في غير موضع من القرآن إنهم كانوا يقولون إن الله خلق العالم ولكن كانوا يتخذون الآلهة شفعاء يشفعون لهم يتقربون بهم إلى الله كما قال تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ الزمر ولقمان

وقال تعالى: ﴿ ويعبدن من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله [24] قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ﴾ يونس وقال تعالى ﴿ والدين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى[25] ﴾ الزمر وبسط هذا له موضع آخر .أهـ

قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى(66/1):

[22] ـ / : معين وليس نوع فقط لأنه استخدم لفظ الإشارة.

[23] ـ / : ولم يقل مسلم معذور بالجهل ؛ فهو لم يذكر عذر ولا تعريف.

[24] ـ / : وهو بالضبط ما يقوله المشركون من أقوامنا ولكن كما قال الله تعالى مخاطبا الذين يجادلون عن المشركين : ﴿ أكفاركم خير من أولئكم ؟! ﴾.

[25] ـ / : اسأل أي مشرك من عابدي البدوي وستسمع دوي هذه الآية ـ ﴿ ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ ـ يصدر من فمه المتنجس بدعاء البدوي والإستغاثة به وسؤاله الشفاعة وشفاء الأمراض وقضاء الحوائج وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله.

واعتقاد المعتقد أن نجما من النجوم السبعة هو المتولي لسعده ونحسه ، اعتقاد فاسد ، وإن اعتقد أنه هو المدبر له فهو كافر ، وكذلك إن انضم إلى ذلك دعاؤه والاستعانة به كان كفرا وشركا محضا[26] ، وغاية من يقول ذلك أن يبني ذلك على هذا الولد حين ولد بهذا الطالع ، وهذا القدر يمتنع أن يكون وحده هو المؤثر في أحوال هذا المولود ، بل غايته أن يكون جزءا يسيرا من جملة الأسباب ، وهذا القدر لا يوجب ما ذكر ، بل ما علم حقيقة تأثيره فيه ، مثل: حال الوالدين ، وحال البلد الذي هو فيه ، فإن ذلك سبب محسوس في أحوال المولود ، ومع هذا فليس هذا مستقلا.

ثم إن الأوائل هم هؤلاء المنجمين المشركين الصابئين وأتباعهم ، قد قيل إنهم كانوا إذا ولد لهم المولود أخذوا طالع المولود ، وسموا المولود باسم يدل على ذلك ، فإذا كبر سئل عن اسمه أخذ السائل حال الطالع ، فجاء هؤلاء الطرقية يسألون الرجل عن اسمه واسم أمه ، ويزعمون أنهم يأخذون من ذلك الدلالة على أحواله ، وهذه ظلمات بعضها فوق بعض ، منافية للعقل والدين.أهـ

قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (237/5):

وإخلاص الدين كله لله هو تحقيق قول لا إله إلا الله.

فإن المسلمين وإن اشتركوا في الإقرار بها ، فهم متفاضلون في تحقيقها تفاضلا لا نقدر أن نضبطه ؛ حتى أن كثيرا منهم يظنون أن التوحيد المفروض هو الإقرار والتصديق بأن الله خالق كل شيء وربه ؛ ولا يميزون بين الإقرار بتوحيد الربوبية الذي أقر به مشركو العرب ، وبين توحيد الإلهية الذي دعاهم إليه رسول الله ρ ولا يجمعون بين التوحيد القولي والعملي.

---

[26] - « شركا محضا » وليس: مسلم وقع في شرك ؛ فالمسلم الذي وقع في شرك أكبر يسمي « مشرك شركا محضاً ».

فإن المشركين ما كانوا يقولون: إن العالم خلقه اثنان ، ولا إن مع الله ربا ينفرد دونه بخلق شيء؛ بل كانوا كما قال الله عنهم: ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ وقال تعالى: ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ قال تعالى: ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾.

وكانوا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق وحده يجعلون معه آلهة أخرى. يجعلونهم شفعاء لهم إليه. ويقولون: ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾. ويحبونهم كحب الله .

والإشراك في الحب والعبادة والدعاء والسؤال غير الإشراك في الاعتقاد والإقرار ، كما قال تعالى: ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ فمن أحب مخلوقا كما يحب الخالق فهو مشرك به ، قد اتخذ من دون الله أندادا يحبهم كحب الله. وإن كان مقرا بأن الله خالقه.

ولهذا فرق الله ورسوله بين من أحب مخلوقا لله ، وبين من أحب مخلوقا مع الله ، فالأول يكون الله هو محبوبه ومعبوده الذي هو منتهى حبه وعبادته لا يحب معه غيره؛ لكنه لما علم أن الله يحب أنبياءه وعباده الصالحين أحبهم لأجله ، وكذلك لما علم أن الله يحب فعل المأمور وترك المحظور أحب ذلك ، فكان حبه لما يحبه تابعا لمحبة الله وفرعا عليه وداخلا فيه. بخلاف من أحب مع الله فجعله ندا لله يرجوه ويخافه ، أو يطيعه من غير أن يعلم أن طاعته طاعة لله ، ويتخذه شفيعا له من غير أن يعلم أن الله يأذن له أن يشفع فيه قال تعالى: ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ وقال تعالى: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله

والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾. وقد قال عدي بن حاتم للنبي: ما عبدوهم ، قال: « أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم ، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم ، فكانت تلك عبادتهم إياهم ». وقال تعالى: ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ ؛ وقال تعالى: ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾. فالرسول وجبت طاعته؛ لأنه من يطع الرسول فقد أطاع الله ، فالحلال ما حلله ، والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه ، ومن سوى الرسول من العلماء والمشايخ والأمراء والملوك إنما تجب طاعتهم إذا كانت طاعتهم طاعة لله ، وهم إذا أمر الله ورسوله بطاعتهم فطاعتهم داخلة في طاعة الرسول .

قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾. فلم يقل وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ بل جعل طاعة أولي الأمر داخلة في طاعة الرسول؛ وطاعة الرسول طاعة لله ، وأعاد الفعل في طاعة الرسول دون طاعة أولي الأمر؛ فإنه من يطع الرسول فقد أطاع الله؛ فليس لأحد إذا أمره الرسول بأمر أن ينظر هل أمر الله به أم لا ، بخلاف أولي الأمر فإنهم قد يأمرون بمعصية الله ، فليس كل من أطاعهم مطيعا لله ، بل لا بد فيما يأمرون به أن يعلم أنه ليس معصية لله ، وينظر هل أمر الله به أم لا ، سواء كان أولي الأمر من العلماء أو الأمراء ، ويدخل في هذا تقليد العلماء وطاعة أمراء السرايا وغير ذلك.

وبهذا يكون الدين كله لله قال تعالى: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ وقال النبي p: لما قيل له: يا رسول الله ، الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء. فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال: « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ».

ثم إن كثيرا من الناس يحب خليفة أو عالما أو شيخا أو أميرا فيجعله ندا لله ، وإن كان قد يقول: إنه يحبه لله.

فمن جعل غير الرسول تجب طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه ، وإن خالف أمر الله ورسوله فقد جعله ندا [27] ، وربما صنع به كما تصنع النصارى بالمسيح ، ويدعوه ويستغيث به ، ويوالي أولياءه ، ويعادي أعداءه مع إيجابه طاعته في كل ما يأمر به وينهى عنه ويحلله ويحرمه ، ويقيمه مقام الله ورسوله فهذا من الشرك الذي يدخل أصحابه[28] في قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾.

فالتوحيد والإشراك يكون في أقوال القلب ، ويكون في أعمال القلب؛ ولهذا قال الجنيد: التوحيد قول القلب ، والتوكل عمل القلب أراد بذلك التوحيد الذي هو التصديق ، فإنه لما قرنه بالتوكل جعله أصله ، وإذا أفرد لفظ التوحيد فهو يتضمن قول القلب وعمله ، والتوكل من تمام التوحيد.

وهذا كلفظ " الإيمان " فإنه إذا أفرد دخلت فيه الأعمال الباطنة والظاهرة ، وقيل الإيمان قول وعمل ، أي قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح.

ومنه قول النبي ρ في الحديث المتفق عليه: ﴿ الإيمان بضع وستون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان ﴾. ومنه قوله تعالى: ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ وقوله: ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم

---

[27] ـ وهذا حال الكفرة من المشرعين الذين لا يعبئون بالتشريع من دون الله أو مع الله حتى سموا مجالسهم بـ « المجالس التشريعية ».

[28] ـ معينين ولم يقل أنهم معذورين حتى تقام عليهم الحجة.

ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ وقوله: ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾.

" والإيمان المطلق " يدخل فيه الإسلام كما في الصحيحين: عن النبي ρ أنه قال لوفد عبد القيس: « آمركم بالإيمان بالله أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم ».

ولهذا قال من قال من السلف: كل مؤمن مسلم ، وليس كل مسلم مؤمنا.

وأما إذا قرن لفظ الإيمان بالعمل أو بالإسلام فإنه يفرق بينهما كما في قوله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ وهو في القرآن كثير ، وكما في قول النبي ρ في الحديث الصحيح: لما سأله جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فقال: « الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت قال: فما الإيمان ؟ قال: أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: فما الإحسان ؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ».

ففرق في هذا النص بين الإسلام والإيمان لما أفرده بالذكر. وكذلك لفظ " العمل " فإن الإسلام المذكور هو من العمل ؛ والعمل الظاهر هو موجب إيمان القلب ومقتضاه ، فإذا حصل إيمان القلب حصل إيمان الجوارح ضرورة ؛ وإيمان القلب لا بد فيه من تصديق القلب وانقياده ، وإلا فلو صدق قلبه بأن محمدا رسول الله وهو يبغضه ويحسده ويستكبر عن متابعته لم يكن قد آمن قلبه.

" والإيمان " وإن تضمن التصديق فليس هو مرادفا له؛ فلا يقال لكل مصدق بشيء: إنه مؤمن به. فلو قال: أنا أصدق بأن الواحد نصف الاثنين ، وأن السماء فوقنا والأرض تحتنا ، ونحو ذلك مما يشاهده الناس ويعلمونه لم يقل لهذا: إنه مؤمن بذلك؛ بل لا يستعمل إلا فيمن أخبر بشيء من الأمور الغائبة

كقول إخوة يوسف: ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ فإنهم أخبروه بما غاب عنه وهم يفرقون بين من آمن له وآمن به فالأول يقال للمخبر ، والثاني يقال للمخبر به كما قال إخوة يوسف: ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ وقال تعالى: ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ﴾. وقال تعالى: ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ﴾ ففرق بين إيمانه بالله وإيمانه للمؤمنين؛ لأن المراد يصدق المؤمنين إذا أخبروه وأما إيمانه بالله فهو من باب الإقرار به. ومنه قوله تعالى عن فرعون وملئه: ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾ أي نقر لهما ونصدقهما. ومنه قوله: ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿ فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي ﴾ ومن المعنى الآخر قوله تعالى: ﴿ يؤمنون بالغيب ﴾ وقوله: ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ وقوله: ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ أي أقر بذلك ومثل هذا في القرآن كثير.

والمقصود هنا أن لفظ " الإيمان " إنما يستعمل في بعض الأخبار ، وهو مأخوذ من الأمن ، كما أن الإقرار مأخوذ من قر ، فالمؤمن صاحب أمن ، كما أن المقر صاحب إقرار ، فلا بد في ذلك من عمل القلب بموجب تصديقه ، فإذا كان عالما بأن محمدا رسول الله ولم يقترن بذلك حبه وتعظيمه بل كان يبغضه ويحسده ويستكبر عن اتباعه فإن هذا ليس بمؤمن به بل كافر به.

ومن هذا الباب كفر إبليس وفرعون وأهل الكتاب الذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وغير هؤلاء. فإن إبليس لم يكذب خبرا ولا مخبرا بل استكبر عن أمر ربه. وفرعون وقومه قال الله فيهم: ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾ وقال له موسى: ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ﴾ وقال تعالى: ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾.

فمجرد علم القلب بالحق إن لم يقترن به عمل القلب بموجب علمه مثل محبة القلب له واتباع القلب له لم ينفع صاحبه ، بل أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وقد كان النبي ρ يقول: « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ونفس لا تشبع ، ودعاء لا يسمع ، وقلب لا يخشع ».

ولكن الجهمية ظنوا أن مجرد علم القلب وتصديقه هو الإيمان ، وأن من دل الشرع على أنه ليس بمؤمن فإن ذلك يدل على عدم علم قلبه وهذا من أعظم الجهل شرعا وعقلا وحقيقته توجب التسوية بين المؤمن والكافر؛ ولهذا أطلق وكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرهما من الأئمة كفرهم بذلك ، فإنه من المعلوم أن الإنسان يكون عالما بالحق ويبغضه لغرض آخر ، فليس كل من كان مستكبرا عن الحق يكون غير عالم به ، وحينئذ فالإيمان لا بد فيه من تصديق القلب وعمله ، وهذا معنى قول السلف: الإيمان قول وعمل.

ثم إنه إذا تحقق القلب بالتصديق والمحبة التامة المتضمنة للإرادة لزم وجود الأفعال الظاهرة ، فإن الإرادة الجازمة إذ اقترنت بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعا ، وإنما ينتفي وجود الفعل لعدم كمال القدرة ، أو لعدم كمال الإرادة ، وإلا فمع كمالها يجب وجود الفعل الاختياري.

فإذا أقر القلب إقرارا تاما بأن محمدا رسول الله وأحبه محبة تامة امتنع مع ذلك أن لا يتكلم بالشهادتين مع قدرته على ذلك ، لكن إن كان عاجزا لخرس ونحوه أو لخوف ونحوه لم يكن قادرا على النطق بهما.

" وأبو طالب " وإن كان عالما بأن محمدا رسول الله وهو محب له فلم تكن محبته له لمحبته لله. بل كان يحبه لأنه ابن أخيه فيحبه للقرابة ، وإذا أحب ظهوره فلما يحصل له بذلك من الشرف والرئاسة ، فأصل محبوبه هو الرئاسة؛ فلهذا لما عرض عليه الشهادتين عند الموت رأى أن بالإقرار بهما زوال دينه الذي يحبه ، فكان دينه أحب إليه من ابن أخيه فلم يقر بهما – فلو كان يحبه لأنه رسول الله كما كان يحبه أبو بكر الذي قال الله فيه: ﴿ وسيجنبها الأتقى ،

الذي يؤتي ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى ﴾ وكما كان يحبه سائر المؤمنين به ، كعمر وعثمان وعلي وغيرهم لنطق بالشهادتين قطعا – فكان حبه حبا مع الله لا حبا لله ، ولهذا لم يقبل الله ما فعله من نصر الرسول ومؤازرته لأنه لم يعمله لله ، والله لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه ، بخلاف الذي فعل ما فعل ابتغاء وجه ربه الأعلى.

وهذا مما يحقق أن " الإيمان ، والتوحيد " لا بد فيهما من عمل القلب ، كحب القلب ، فلا بد من إخلاص الدين لله ، والدين لا يكون دينا إلا بعمل؛ فإن الدين يتضمن الطاعة والعبادة؛ وقد أنزل الله عز وجل سورتي الإخلاص: ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ و﴿ قل هو الله أحد ﴾.

إحداهما: في توحيد القول والعلم.

والثانية: في توحيد العمل والإرادة.

فقال في الأول: ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ﴾ فأمره أن يقول هذا التوحيد

وقال في الثاني: ﴿ قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين ﴾ فأمره أن يقول ما يوجب البراءة من عبادة غير الله وإخلاص العبادة لله.

" والعبادة " أصلها القصد والإرادة. والعبادة إذا أفردت دخل فيها التوكل ونحوه ، وإذا قرنت بالتوكل صار التوكل قسيما لها ، كما ذكرناه في لفظ الإيمان ، قال تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وقال تعالى: ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ فهذا ونحوه يدخل فيه فعل المأمورات وترك المحظورات؛ والتوكل من ذلك ، وقد قال في موضع آخر: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وقال: ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾. ومثل هذا كثيرا ما يجيء في القرآن: تتنوع دلالة اللفظ

في عمومه وخصوصه بحسب الإفراد والاقتران؛ كلفظ " المعروف والمنكر " فإنه قد قال: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ وقال: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ وقال: ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴾ فالمنكر يدخل فيه ما كرهه الله؛ كما يدخل في المعروف ما يحبه الله. وقد قال في موضع آخر: ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ فعطف المنكر على الفحشاء ، ودخل في المنكر هنا البغي. وقال في موضع آخر: ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ﴾ فقرن بالمنكر الفحشاء والبغي. ومن هذا الباب لفظ " الفقراء ، والمساكين " إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ، وإذا قرن أحدهما بالآخر صار بينهما فرق؛ لكن هناك أحد الاسمين أعم من الآخر ، وهنا بينهما عموم وخصوص.

فمحبة الله وحده والتوكل عليه وحده وخشية الله وحده ونحو هذا كل هذا يدخل في توحيد الله تعالى ، قال تعالى في المحبة: ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ وقال تعالى: ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾ وقال تعالى: ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ فجعل الطاعة لله والرسول وجعل الخشية والتقوى لله وحده وقال تعالى: ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ﴾ وقال تعالى: ﴿ فإذا فرغت فانصب ، وإلى ربك فارغب ﴾ فجعل التحسب والرغبة إلى الله وحده. وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا أن قول القائل: (لا إله إلا أنت) فيه إفراد الإلهية لله وحده وذلك يتضمن التصديق لله قولا وعملا ، فالمشركون كانوا يقرون بأن الله رب

كل شيء؛ لكن كانوا يجعلون معه آلهة أخرى ، فلا يخصونه بالإلهية. وتخصيصه بالإلهية يوجب أن لا يعبد إلا إياه ، وأن لا يسأل غيره ، كما في قوله: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فإن الإنسان قد يقصد سؤال الله وحده والتوكل عليه ، لكن في أمور لا يحبها الله؛ بل يكرهها وينهى عنها ، فهذا وإن كان مخلصا له في سؤاله والتوكل عليه ، لكن ليس هو مخلصا في عبادته وطاعته.

وهذا حال كثير من أهل التوجهات الفاسدة أصحاب الكشوفات والتصرفات المخالفة لأمر الله ورسوله ، فإنهم يعانون على هذه الأمور. وكثير منهم يستعين الله عليها لكن لما لم تكن موافقة لأمر الله ورسوله حصل لهم نصيب من العاجلة ، وكانت عاقبتهم عاقبة سيئة ، قال تعالى: ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه ﴾.

وطائفة أخرى قد يقصدون طاعة الله ورسوله ، لكن لا يحققون التوكل عليه والاستعانة به. فهؤلاء يثابون على حسن نيتهم ، وعلى طاعتهم ، لكنهم مخذولون فيما يقصدونه ، إذ لم يحققوا الاستعانة بالله والتوكل عليه؛ ولهذا يبتلى الواحد من هؤلاء بالضعف والجزع تارة ، وبالإعجاب أخرى ، فإن لم يحصل مراده من الخير كان لضعفه ، وربما حصل له جزع ، فإن حصل مراده نظر إلى نفسه وقوته فحصل له إعجاب ، وقد يعجب بحاله فيظن حصول مراده فيخذل. قال تعالى: ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ إلى قوله: ﴿ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ﴾.

وكثيرا ما يقرن الناس بين الرياء والعجب ، فالرياء من باب الإشراك بالخلق ، والعجب من باب الإشراك بالنفس وهذا حال المستكبر ، فالمرائي لا يحقق قوله:

﴿ إياك نعبد ﴾ والمعجب لا يحقق قوله: ﴿ إياك نستعين ﴾ فمن حقق قوله: ﴿ إياك نعبد ﴾ خرج عن الرياء ومن حقق قوله: ﴿ إياك نستعين ﴾ خرج عن الإعجاب.

وفي الحديث المعروف: ﴿ ثلاث مهلكات: شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ﴾.

وشر من هؤلاء وهؤلاء من لا تكون عبادته لله ولا استعانته بالله بل يعبد غيره ويستعين غيره وهؤلاء المشركون من الوجهين. ومن هؤلاء من يكون شركه بالشياطين كأصحاب الأحوال الشيطانية فيفعلون ما تحبه الشياطين من الكذب والفجور ويدعونه بأدعية تحبها الشياطين ويعزمون بالعزائم التي تطيعها الشياطين مما فيها إشراك بالله. كما قد بسط الكلام عليهم في مواضع أخر. وهؤلاء قد يحصل لهم من الخوارق ما يظن أنه من كرامات الأولياء. وإنما هو من أحوال السحرة والكهان؛ ولهذا يجب الفرق بين الأحوال الإيمانية القرآنية والأحوال النفسانية والأحوال الشيطانية.

وأما القسم الرابع: فهم أهل التوحيد الذين أخلصوا دينهم لله فلم يعبدوا إلا إياه ولم يتوكلوا إلا عليه. وقول المكروب: ﴿ لا إله إلا أنت ﴾ قد يستحضر في ذلك أحد النوعين دون الآخر فمن أتم الله عليه النعمة استحضر التوحيد في النوعين .أهـ

قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية **(478/1)**:

والمقصود هنا أن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو المذكور في الكتاب والسنة وهو المعلوم بالأضرار من دين الإسلام ليس هو هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها هؤلاء المتكلمون ؛ وإن كان فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول ؛ فهم مع زعمهم أنهم الموحدون ليس

توحيدهم التوحيد الذي ذكر الله ورسوله ؛ بل التوحيد الذي يدعون الاختصاص به باطل في الشرع والعقل واللغة.

وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله وحده

فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا فقد وَحَدَه ؛ ومن عبد من دونه شيئا من الأشياء[29] فهو مشرك[30] به ليس بموحد مخلص له الدين وإن كان مع ذلك قائلا بهذه المقالات التي زعموا أنها التوحيد حتى لو أقر بأن الله وحده خالق كل شيء وهو التوحيد في الأفعال الذي يزعم هؤلاء المتكلمون أنه يقر أن لا إله إلا هو ويثبتون بما توهموه من دليل التمانع وغيره لكان مشركا .

وهذه حال مشركي العرب الذين بعث الرسول إليهم ابتداءا وأنزل القرآن ببيان شركهم ودعاهم إلى توحيد الله وإخلاص الدين له فإنهم كانوا يقرون بأن الله وحده هو الذي خلق السموات والأرض كما أخبر الله بذلك عنهم في القرآن كما في قوله ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ وفي قوله ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ قال ابن عباس: « تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره » فهذا الشرك المذكور في القرآن في مواضع كثيرة المضاد للإخلاص والتوحيد كما في حديث جابر وابن عمر وسعد وغيرهم وقد بسطنا الكلام في هذا في غير الموضع.

---

[29] - / : (البدوي ، الكُهَّان ، المشرعين ، الأحبار والرهبان من علماء السوء ، وغيرها مما يعتقد فيه المشركون صفات الإلهية كالنفع والضر والحكم والتشريع).

[30] - / : لم يذكر عذر ولا تعريف.

والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول التوحيد في العلم والقول ؛ وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ويتفرق فيكون شيئين وهو واحد متصف بصفات تختص به ليس له فيها شبيه ولا كفؤ .

والتوحيد في الإدارة والعمل وهو عبادته وحده لا شريك له ؛ وقد أنزل الله سورتي الإخلاص ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ و﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

الواحدة: في توحيد العمل ولهذا كان القول فيها ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ وهي جملة إنشائية فعلية .

والأخرى: في توحيد العلم وهي قوله ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وبهذا كان القول جملة خبرية اسمية.

والكلام إما إنشاء وإما إخبار فالإخبار يكون عن العلم والإنشاء يكون عن الإرادة ولهذا قال الله تعالى ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ وقال ﴿ قل إنما يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ﴾ وقال ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد ﴾ وقال ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ﴾ وقال ﴿ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ﴾ إلى قوله ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾.

وفي القرآن من نفي الألوهية عن غيره من المخلوقات وإثباتها له وحده ما لا يحصى إلا بكلفة كقوله ﴿ فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون مع المعذبين ﴾ ؛ ﴿ ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذوه وكيلا ﴾ ﴿ ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا * هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لو لا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن أفترى على الله كذبا ﴾ ﴿ لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ ﴿

إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ ونحو ذلك مما يتضمن وحدانيته في الإلهية فلا يجوز أن يكون إله معبود إلا هو.

والإلهية تتضمن استحقاقه للعبادة والدعاء لا أنها بمعنى القدرة على الاختراع كما يذكر ذلك عن الأشعري فإن هذا هو الربوبية التي كان المشركون يقرون بها .

ولهذا خاطبني بعض الأعيان من الفضلاء المتفلسفين وأخذ يقول إن الفلاسفة يوحدون وأنهم من أعظم الناس توحيدا ويفضلهم على النصارى في التوحيد فبينت له أن الأمر ليس كذلك بل النصارى في التوحيد خير منهم وأنهم مشركون لا موحدون فقلت الفلاسفة الذين تذكرهم إما مشركون يوجبون الشرك ويوالون عليه ويعادون وإما صابئون يسوغون الشرك ويجوزون عبادة ما سوى الله وكتبهم مشحونة بهذا ولهذا كان أحسن أحوالهم أن يكونوا صابئة أو هم علماء الصابئة وهل كان نمرود وقومه وفرعون وقومه وغير هؤلاء إلا منهم وهل عبدت الكواكب وبينت لها الهياكل كل وأصنامها إلا برأي هؤلاء المتفلسفة.

بل وهل عبد الصالحون[31] وعكف على قبورهم ومثلت صورهم إلا بآرائهم حتى الذين كانوا متظاهرين بالإسلام منهم[32] قد صنفوا في الإشراك بالله وعباده الكواكب والأصنام[33] وذكروا ما في هذا الشرك من الفوائد وتحصيل المقاصد .

وبالأضطرار يعلم من عرف دين الرسل محمد وغيره أنهم إنما بعثوا بالنهي عن هذا الإشراك وجميع الرسل بعثوا بذلك كما قال تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال تعالى ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ وقال ﴿ وما أرسلنا من

[31] ـ فهل من عبد الصالحون يسمى مسلم !!

[32] ـ يتكلم عن تكفير أعيان فمن ألف كتاب هو شخص معروف.

[33] ـ من صنفوا في « الإشراك بالله وعباده الكواكب والأصنام » مسلمون !!!

قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ وقال ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .أهـ

قال ابن تيمية في زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور (9/1) وهو ضمن مجموع الفتاوى (67/27):

فإذا جعل من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا كافرا ؛ فكيف من اتخذ من دونهم من المشايخ وغيرهم أربابا.[34]

وتفصيل القول أن مطلوب العبد إن كان من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى مثل أن يطلب شفاء مريضه من الآدميين والبهائم أو وفاء دينه من غير جهة معينة أو عافية أهله وما به من بلاء الدنيا والآخرة وانتصاره على عدوه وهداية قلبه وغفران ذنبه أو دخوله الجنة أو نجاته من النار أو أن يتعلم العلم والقرآن أو أن يصلح قلبه ويحسن خلقه ويزكي نفسه وأمثال ذلك فهذه الأمور كلها لا يجوز أن تطلب إلا من الله تعالى ولا يجوز أن يقول لملك ولا نبي ولا شيخ سواء كان حيا أو ميتا اغفر ذنبي ولا انصرني على عدوي ولا اشف مريضي ولا عافني أو عاف أهلي أو دابتي وما أشبه ذلك

ومن سأل ذلك مخلوقا كائنا من كان[35] فهو مشرك بربه من جنس المشركين[36] الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورونها على صورهم ؛ ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه[37]

---

[34] ـ / : وبالطبع لن يسميهم أربابا كما لم يسم من اتخذ الأحبار والرهبان أرباب ؛ (وإنما سيسميهم اسم لطيف لا تنفر منه النفوس مثل الأولياء والأقطاب والعارفين وغير ذلك من الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان).

[35] ـ / : ملكا أو نبيا أو حسينيا أو وليا أو بدويا أو شاذليا أو رفاعيا.

قال الله تعالى ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾.

وأما ما يقدر عليه العبد فيجوز أن يطلب منه في بعض الأحوال دون بعض فإن مسألة المخلوق قد تكون جائزة وقد تكون منهيا عنها قال الله تعالى ﴿ فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب ﴾ وأوصى النبي ρ ابن عباس « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » وأوصى النبي ρ طائفة من أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئا فكان سوط أحدهم يسقط من كفه فلا يقول لأحد ناولني إياه ؛ وثبت في الصحيحين أنه ρ قال: « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » والإسترقاء طلب الرقية وهو من أنواع الدعاء ومع هذا فقد ثبت عنه ρ أنه قال « ما من رجل يدعو له أخوه بظهر الغيب دعوة إلا وكل الله بها ملكا كلما دعا لأخيه دعوة قال الملك ولك مثل ذلك » ومن المشروع في الدعاء دعاء غائب لغائب ، ولهذا أمر النبي ρ بالصلاة عليه وطلبنا الوسيلة له وأخبر بما لنا في ذلك من الأجر إذا دعونا بذلك فقال في الحديث « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإن من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم اسألوا لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا

---

[36] - / : ولكن كما قال الله تعالى مخاطبا من يزن بميزان الهوى: ﴿ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة .....﴾.

[37] - / : فالشرك كله ملة واحدة ؛ وإن تفاوتت مراتبه ، (وهذا ردا على من لا يكفرون المعظمين عندهم إذا وقعوا في شرك بحجة: " هل يتساوون مع النصارى!! " ، " هتقارنهم بالنصارى !! " نقول: يتساوون معهم في حكم الكفر وإن اختلفوا عنهم في رتبته فكانوا أخف كفرا ؛ لكنهم كفار) .

لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة » .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى في باب الشفاعة المنفية في القرآن (134/1):

- **والمقصود هنا : أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو[38] مشرك**
- **بل هذا دين المشركين عباد الأوثان كانوا يقولون : إنها تماثيل الأنبياء والصالحين وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله ؛ وهو من الشرك الذي أنكره الله على النصارى حيث قال : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ .**

وقال تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ أي فليستجيبوا لي إذا دعوتهم بالأمر والنهي وليؤمنوا بي أن أجيب دعاءهم لي بالمسألة والتضرع . وقال تعالى : ﴿ فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾ وقال تعالى : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾.

---

[38] ـ / : ضمير يعود على معين ؛ وليس نوع فقط.

وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه وحسم مواد الإشراك به حتى لا يخاف أحد غير الله ولا يرجو سواه ولا يتوكل إلا عليه . وقال تعالى : ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ﴾ ؛ ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ﴾ أي يخوفكم أولياءه ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ . فبين أن الطاعة لله ورسوله وأما الخشية فلله وحده . وقال تعالى : ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾ ونظيره قوله تعالى ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ .

وقد كان النبي ρ يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك ؛ إذ هذا تحقيق قولنا « لا إله إلا الله » فإن الإله هو الذي تألهه القلوب ؛ لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف ؛ حتى قال لهم : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ؛ ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد » ؛ وقال له رجل : ما شاء الله وشئت . فقال : « أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده » وقال : « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » ؛ وقال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال لابن عباس : « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما أنت لاق ؛ فلو جهدت الخليقة على أن تنفعك لم تنفعك إلا بشيء كتبه الله لك ولو جهدت أن تضرك لم تضرك إلا بشيء كتبه الله عليك » وقال أيضا : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقال : « اللهم لا تجعل قبري

وثنا يعبد » وقال : « لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم » وقال في مرضه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ؛ ولكن كره أن يتخذ مسجدا .

وهذا باب واسع .

ومع علم المؤمن أن الله رب كل شيء ومليكه : فإنه لا ينكر ما خلقه الله من الأسباب كما جعل المطر سببا لإنبات النبات . قال الله تعالى : ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ﴾ وكما جعل الشمس والقمر سببا لما يخلقه بهما وكما جعل الشفاعة والدعاء سببا لما يقضيه بذلك مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت ؛ فإن ذلك من الأسباب التي يرحمه الله بها ويثيب عليها المصلين عليه.

لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور :

أحدها : أن السبب المعين لا يستقل بالمطلوب بل لا بد معه من أسباب أخر ومع هذا فلها موانع . فإن لم يكمل الله الأسباب ويدفع الموانع : لم يحصل المقصود وهو – سبحانه – ما شاء كان – وإن لم يشأ الناس – وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء الله .

الثاني : أن لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم فمن أثبت شيئا سببا بلا علم أو يخالف الشرع : كان مبطلا مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء . وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ρ : أنه نهى عن النذر وقال : « إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل » .

الثالث : أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سببا إلا أن تكون مشروعة ؛ فإن العبادات مبناها على التوقيف ؛ فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله فيدعو غيره – وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه – ؛ وكذلك لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة – وإن ظن ذلك – فإن الشياطين

قد تعين الإنسان على بعض مقاصده إذا أشرك وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الإنسان فلا يحل له ذلك إذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به إذ الرسول ρ بعث بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فما أمر الله به : فمصلحته راجحة وما نهى عنه : فمفسدته راجحة وهذه الجمل : لها بسط لا تحتمله هذه الورقة . والله أعلم .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (163/13):

فكل من جعل مخلوقا مثلا للخالق في شيء من الأشياء فأحبه مثل ما يحب الخالق أو وصفه بمثل ما يوصف به الخالق[39] فهو مشرك ؛ سوى بين الله وبين المخلوق في شيء من الأشياء فعدل بربه .

والرب تعالى لا كفؤ له ولا سمي له ولا مثل له ومن جعله مثل المعدوم والممتنع فهو شر من هؤلاء فإنه معطل ممثل والمعطل شر من المشرك . والله ثنى قصة فرعون في القرآن في غير موضع ؛ لاحتياج الناس إلى الاعتبار بها فإنه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والإلهية والعلو ما لم يحصل مثله لأحد من المعطلين وكانت عاقبته إلى ما ذكر الله تعالى.أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (271/3):

وأما ما ذكرت عن الشيخ " نصر " أنه قال : كنت أوثر أن لا يحسوا به إلا وقد خرج خشية أن يعلم فلان وفلان فيطلعوا ويتكلموا . فتكثر الغوغاء والكلام فعرفه أن كل من قال حقا : فأنا أحق من سمع الحق والتزمه وقبله . سواء

---

[39] - / : مثل من يصفون بشراً مثلهم بالمشرعين وما علموا أنه: ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ ؛ ﴿ ولا يشرك في حكمه أحدا ﴾.

كان حلوا أو مرا وأنا أحق أن يتوب من ذنوبه التي صدرت منه ، بل وأحق بالعقوبة إذا كنت أضل المسلمين عن دينهم .

وقد قلت فيما مضى : ما ينبغي لأحد أن يحمله تحننه لشخص وموالاته له على أن يتعصب معه بالباطل أو يعطل لأجله حدود الله تعالى ، بل قد قال النبي ρ « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره » .

وهذا الذي يخافه – من قيام " العدو " ونحوه في المحضر الذي قدم به من الشام إلى ابن مخلوف فيما يتعلق بالاستغاثة بالنبي ρ إن أظهروه كان وباله عليهم

- ودل على أنهم مشركون[40] لا يفرقون بين دين المسلمين ودين النصارى .
- فإن المسلمين متفقون على ما علموه بالاضطرار من دين الإسلام أن العبد لا يجوز له أن يعبد ولا يدعو ولا يستغيث ولا يتوكل إلا على الله ، وأن من عبد ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو دعاه أو استغاث به فهو مشرك [41]

فلا يجوز عند أحد من المسلمين أن يقول القائل يا جبرائيل أو يا ميكائيل أو يا إبراهيم أو يا موسى أو يا رسول الله اغفر لي أو ارحمني أو ارزقني أو انصرني أو أغثني أو أجرني من عدوي أو نحو ذلك ، بل هذا كله من خصائص الإلهية . وهذه مسائل شريفة معروفة قد بينها العلماء وذكروا الفرق بين حقوق الله التي يختص بها دون الرسل . والحقوق التي له ولرسله ، كما يميز سبحانه بين ذلك في مثل قوله : ﴿ وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ فالتعزير والتوقير للرسول ، والتسبيح بكرة وأصيلا لله . وكما قال : ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ . فالطاعة لله ولرسوله والخشية والتقوى لله وحده وكما يقول المرسلون : ﴿ أن اعبدوا

---

[40] ـ / : ولم يقل دل هذا على أن ما يفعلوه شرك فقط ؛ بل أسقط الحكم على الأعيان.

[41] ـ / : أي: مشرك عينا ؛ ولم يذكر عذر ولا تعريف.

الله واتقوه وأطيعون ﴾ فيجعلون العبادة والتقوى لله وحده ويجعلون لهم الطاعة قال تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا * وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا * قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا * قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ وقال تعالى . ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ وقال تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾

فمن اتخذ الملائكة والنبيين أربابا فقد كفر بعد إسلامه[42] باتفاق المسلمين ؛ ولأجل هذا نهى النبي ρ عن اتخاذ المساجد على القبور وعن أن يجعل لله ندا في خصائص الربوبية : ففي الصحيحين عنه أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا وفي الصحيح عنه أنه

---

[42] - / : أي : ارتد ردة صريحة ؛ ولم يذكر « إذا كان مثله لا يجهله » ؛ وسيذكر معنى « اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً » أنه: الخوف والإغاثة والسجود والدعاء والتوكل .

قال : « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » وفي السنن عنه أنه قال : « لا تتخذوا قبري عيدا » . وروي عنه أنه قال : « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد » . وقال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتني لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده »
.

ولهذا قال العلماء : من زار قبر النبي ρ فإنه لا يستلمه ولا يقبله ولا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق : الذي يستلم ويقبل منه الركن الأسود ويستلم الركن اليماني .

ولهذا اتفق العلماء على أنه لا يشرع تقبيل شيء من الأحجار ولا استلامه – إلا الركنان اليمانيان – حتى " مقام إبراهيم " الذي بمكة لا يقبل ولا يتمسح به فكيف بما سواه من المقامات والمشاهد ؛ وأنت لما ذكرت في ذلك اليوم هذا قلت لك هذا من أصول الإسلام . فإذا كان القاضي لا يفرق بين دين الإسلام ودين النصارى الذين يدعون المسيح وأمه فكيف أصنع أنا ؟ .

ولكن من يتخذ نفيسة ربا[43] ويقول : إنها تجير الخائف وتغيث الملهوف وأنا في حسبها ويسجد لها ويتضرع في دعائها مثل ما يتضرع في دعاء رب الأرض والسموات ويتوكل على حي قد مات ولا يتوكل على الحق الذي لا يموت ، فلا ريب أن إشراكه بمن هو أفضل منها يكون أقوى . قال تعالى : ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ . وحديث معاذ لما رجع من الشام فسجد للنبي ρ فقال : « ما هذا يا معاذ » فقال : رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم

---

[43] - / : أنظر معنى الربوبية تجدها بالضبط كما يدعى مشركي العصر في آلهتهم أنها : (تجير الخائف وتغيث الملهوف وأنا في حسبها ويسجد لها ويتضرع في دعائها مثل ما يتضرع في دعاء رب الأرض والسموات ويتوكل على حي قد مات ولا يتوكل على الحق الذي لا يموت) ترى أن ابن تيمية يتكلم في البدوي أم غيره ؟!

ويذكرون ذلك عن أنبيائهم فقال يا معاذ : « أرأيت لو مررت بقبري أكنت ساجدا له ؟ » قال لا قال : « فلا تسجد لي ، فلو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » .

فمن لا ينهى الضالين عن مثل هذا الشرك المحرم بإجماع المسلمين . كيف ينهى عما هو أقل منه ؟ ؛ ومن دعا رجلا أو امرأة من دون الله فهو مضاه لمن اتخذ المسيح وأمه إلهين من دون الله . وفي الصحيح عن النبي ρ أنه قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » . بل من سوغ أن يدعى المخلوق ومنع من دعاء الخالق الذي فيه تحقيق صمديته وإلهيته فقد ناقض " الإسلام " في النفي والإثبات : وهو شهادة أن لا إله إلا الله .أهـ

قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (270/2):

وفي صحيح مسلم عن النبي ρ قال: « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها » فنهى عن الصلاة إليها لما فيه من مشابهة المشركين الذين يسجدون لها وفي السنن والمسند قال الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام ؛ والسبب الذي من أجله نهى عن الصلاة في المقبرة في أصح قولي العلماء هو سد ذريعة الشرك كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وقت غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان والمشركون يسجدون لها حينئذ فنهى عن قصد الصلاة في هذا الوقت لما في ذلك من المشابهة لهم في الصورة وإن اختلف القصد ، كذلك نهى عن الصلاة في المقبرة لله لما فيه من مشابهة من يتخذ القبور مساجد وأن المصلى الله لا يقصد ذلك سدا للذريعة ؛ فأما إذا قصد ليصلي هناك ليدعوا عند القبور ظنا أن هذا الدعاء هناك أجوب فهذا ضلال بإجماع المسلمين وهو

مما حرمه الله ورسوله وأبلغ من ذلك أن يدعى ويقسم على الله بالميت وأبلغ من ذلك أن يسأل الله به ونحو ذلك.

وأبلغ من ذلك أن يسافر إليه من مكان بعيد لهذا القصد أو ينذر له أو لمن عنده دهن أو شمع أو ذهب أو فضة أو قناديل أو ستور فهذا كله من نذور أهل الشرك ولا يجوز مثل هذا النذر باتفاق المسلمين ولا الوفاء به كما ثبت في صحيح البخاري عن النبي ρ أنه قال « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه » ولا يجوز أن ينذر أحد إلا طاعة ولا يجوز أن ينذرها إلا لله

فمن نذر لغير الله فهو مشرك[44] كمن صام لغير الله وسجد لغير الله ومن حج إلى قبر من القبور فهو مشرك[45] ؛ بل لو سافر إلى مسجد لله غير المساجد الثلاثة ليعبد الله فيها كان عاصيا لله ورسوله فكيف إذا سافر إلى غير الثلاثة ليشرك بالله ؛ وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ρ أنه قال: « لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » ؛ ولهذا قال غير واحد من العلماء إن السفر لزيارة المشاهد سفر معصية ومن لم يجوز القصر في سفر المعصية منهم من لم يجوزه لاسيما إذا سمى ذلك حجا وصنفت فيه مصنفات وسميت مناسك حج المشاهد ؛ ومن هؤلاء من يفضل قصد المشاهد وحجها والسفر إليها على حج بيت الله الحرام الذي فرض الله حجه على الناس وهذا أمر قد وقع فيه الغلاة في المشايخ والأئمة المنتسبين إلى السنة وإلى الشيعة حتى أن الواحد من هؤلاء في بيته يصلى لله الصلاة المفروضة بقلب غافل لاه ويقرأ القرآن بلا

44 ـ / : عيناً بدليل الضمير : « فهو ».

45 ـ / : عيناً بدليل الضمير : « فهو ».

تدبر ولا خشوع وإذا زار قبر من يغلو فيه بكى وخشع واستكان وتضرع وانتحب ودمع كما يقع إذا سمع المكاء والتصدية الذي كان للمشركين عند البيت .أهـ

قال ابن تيمية في الرد على المنطقيين(544/1):

بل قول الحنفاء هو ما قاله الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون ﴾ آل عمران ؛ فمن اتخذ هؤلاء أو هؤلاء أربابا كما يقول من يجعلهم وسائط في العبادة والدعاء ونحو ذلك فهو كافر.

وصاحب الكتب المضنون بها[46] قد جعل الملائكة والنبيين وسائط وجعل هذه شفاعتهم موافقة للفلاسفة كما تقدم من أن هذا القول شر من قول مشركي العرب .

وجاء بعده صاحب كتاب السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم [47] فذكر فيه الشرك الصريح من عبادة الكواكب والجن والشياطين ودعواتها وبخورها وخواتيمها وأصنامها التي تجعل لها على مذهب المشركين الكلدانيين والكشدانيين الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل وبنى على ذلك القول بقدم العالم وان لا سبب لحدوث الحوادث إلا مجرد حركة الفلك كما يقوله هؤلاء القائلون بقدم العالم الذين هم شر من مشركي العرب.

---

[46] - / : يتكلم عن معين !!

[47] - / : يتكلم عن معين !!

وكذلك ذكر في تفسير حديث المعراج ما هو مبني على أصول هؤلاء الذين هم اكفر الكفار كقوله أن الأنبياء الذين رآهم النبي ρ هم الكواكب فآدم القمر ويوسف الزهرة ونحو هذا الهذيان وان المعراج إنما هو رؤية قلبه الوجود كما يذكر ابن عربي وغيره مثل هذا المعراج ويثبتون لأنفسهم إسراء ومعراجا.
وهذه خيالات تلقيها الشياطين مناسبة لما يعتقدونه من الإلحاد[48] على عادة الشياطين في إضلال بني آدم فإنما يضلونهم بما يقبلونه منهم وما يوافق أهواءهم ، والحمد لله رب العالمين .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (145/23):
﴿ ويخرون للأذقان يبكون ﴾ وذلك لأن الخرور هو أول الخضوع المنافي للكبر
.
فإن المتكبر يكره أن يخر ويحب أن لا يزال منتصبا مرتفعا إذا كان الخرور فيه ذل وتواضع وخشوع .
ولهذا يأنف منه أهل الكبر من العرب وغير العرب . فكان أحدهم إذا سقط منه الشيء لا يتناوله لئلا يخر وينحني . فإن الخرور انخفاض الوجه والرأس وهو أعلى ما في الإنسان وأفضله وهو قد خلق رفيعا منتصبا فإذا خفضه لا سيما بالسجود كان ذلك غاية ذله
ولهذا لم يصلح السجود إلا لله فمن سجد لغيره فهو مشرك[49] ومن لم يسجد له فهو مستكبر عن عبادته وكلاهما كافر[50] من أهل النار .أهـ

---

[48] - / : فهل من يعتقد معتقدات الإلحاد مسلم ؟!
[49] - على التعيين وليس فقط النوع لأنه استخدم اسم الإشارة فالمشار إليه معين.
[50] - ولم يذكر تعريف ولا عذر ولا تأويل.

قال ابن تيمية في كتاب الإستقامة (344/1):

وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده ، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئا من المخلوقات في جميع الأمور[51] ، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (18/13):

ولما قرر الوحدانية قرر النبوة كذلك فقال : ﴿ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين * بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ وهؤلاء مثلوا المخلوق بالخالق وهذا من تكذيبهم إياه

● ولم يكن المشركون يسوون بين آلهتهم وبين الله في كل شيء بل كانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق المالك لهم وهم مخلوقون مملوكون له ولكن كانوا يسوون بينه وبينها في المحبة والتعظيم والدعاء والعبادة والنذر لها ونحو ذلك مما يخص به الرب

● فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك[52] ؛ بخلاف من لا يعدل به ولكن يذنب مع اعترافه بأن الله ربه وحده وخضوعه

---

[51] ـ حتى فرعون قال الله تعالى فيه ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾.

[52] ـ على التعيين ؛ ولاحظ أنه لم يقل ومنهج اهل السنة عدم تكفير المعين!! ؛ لأن المسألة التي يتكلم فيها متعلقة بالشرك لالله وهذا لا يقاس بمسائل البدع التي قد تفضي إلى الكفر وقد لا تفضي فتنبه لهذا التفريق؟

له خوفا من عقوبة الذنب ؛ فهذا يفرق بينه وبين من لا يعترف بتحريم ذلك .أهـ

قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (277/2) :

فالعبادات مبناها على أصلين:

أحدهما: أن لا يعبد إلا الله وحده لا نعبد من دونه شيئا لا ملكا ولا نبيا ولا صالحا ولا شيئا من المخلوقات.

والثاني: أن نعبده بما أمرنا به على لسان رسوله لا نعبده ببدع لم يشرعها الله ورسوله.

والعبادات تتضمن كمال الحب وكمال الخضوع فمن أحب شيئا من المخلوقات كما يحب الخالق فهو[53] مشرك[54]

قال الله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾(سورة البقرة).أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (40/28):

﴿ يدعو من دون الله ما لا يضره ﴾ الآية . أي : يدعو المخلوقين ؛ يخافهم ويرجوهم وهم لا يملكون له ضرا ولا نفعا بل ضرهم أقرب من نفعهم ؛ وإن كان

---

[53] - اسم الإشارة دلالة على التعيين وليس النوع كما يزعم من ينسب إلى ابن تيمية أنه لا يكفر من جعل لله عدلا وندا على التعيين !!

[54] - لم يقل فهذا شرك لكن فاعلة لا يحكم عليه بالشرك حتى تتوافر شروط وتنتفي موانع !!

سبب نزولها في شخص معين أسلم وكان مشركا فحكمها عام في كل من تناوله لفظها ومعناها إلى يوم القيامة .

فكل من دعا غير الله[55] فهو مشرك[56] والعيان يصدق هذا

فإن المخلوقين إذا اشتكى إليهم الإنسان فضررهم أقرب من نفعهم والخالق – جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره – إذا اشتكى إليه المخلوق وأنزل حاجته به واستغفره من ذنوبه : أيده وقواه وهداه وسد فاقته وأغناه وقربه وأقناه وحبه واصطفاه والمخلوق إذا أنزل العبد به حاجته استرذله وازدراه ثم أعرض عنه خسر الدنيا والآخرة وإن قضى له ببعض مطلبه ؛ لأنه عنده من بعض رعاياه يستعبده بما يهواه .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (338/27):

فأئمة المسلمين فرقوا بين ما أمر به النبي ρ وبين ما نهى عنه في هذا وغيره ؛ فما أمر به هو عبادة وطاعة وقربة

وما نهى عنه بخلاف ذلك بل قد يكون شركا كما يفعله أهل الضلال من المشركين وأهل الكتاب ومن ضاهاهم حيث يتخذون المساجد على قبور الأنبياء والصالحين ويصلون إليها وينذرون لها ويحجون إليها .

---

[55] - / : كالداعين للبدوي والحسين وغيرهم.

[56] - / : اسم الإشارة دلالة على التعيين ؛ ولم يقل شروط ولا موانع ولا تعريف ولا عذر !.

بل قد يجعلون الحج إلى بيت المخلوق أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام . ويسمون ذلك " الحج الأكبر " وصنف لهم شيوخهم في ذلك مصنفات كما صنف المفيد بن النعمان[57] كتابا في مناسك المشاهد سماه " مناسك حج المشاهد " وشبه بيت المخلوق ببيت الخالق .

وأصل دين الإسلام أن نعبد الله وحده ولا نجعل له من خلقه ندا ولا كفوا ولا سميا . قال تعالى : ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ وقال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وقال تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : « قلت يا رسول الله : أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك . قلت ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك . قلت ثم أي ؟ قال : أن تزاني بحليلة جارك » فأنزل الله تصديق رسوله ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾.

- فمن سوى بين الخالق والمخلوق في الحب له أو الخوف منه والرجاء له فهو مشرك .

والنبي ρ نهى أمته عن دقيق الشرك وجليله حتى قال ρ ﴿ من حلف بغير الله فقد أشرك ﴾ رواه . أبو داود وغيره . وقال له رجل : ما شاء الله وشئت ؛ فقال : « أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده » وقال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ؛ ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد » وجاء معاذ بن جبل مرة فسجد له فقال : ما هذا يا معاذ ؟ فقال : يا رسول الله رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم . فقال : يا معاذ ؟ إنه لا يصلح السجود إلا لله ولو كنت

[57] ـ تكفير معين !!

آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ﴾ . فلهذا فرق النبي ρ بين زيارة أهل التوحيد وبين زيارة أهل الشرك فزيارة أهل التوحيد لقبور المسلمين تتضمن السلام عليهم والدعاء لهم وهي مثل الصلاة على جنائزهم

وزيارة أهل الشرك تتضمن أنهم يشبهون المخلوق بالخالق ينذرون له ويسجدون له ويدعونه ويحبونه مثل ما يحبون الخالق فيكونون قد جعلوه لله ندا وسووه برب العالمين .

وقد نهى الله أن يشرك به الملائكة والأنبياء وغيرهم فقال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا * أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ .أهـ

قال ابن تيمية في الرد على البكري (669/1):

فأعظم ما سفهوه لأجله وأنكروه هو التوحيد

ولهذا تجد من فيه شبهة من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله تعالى وإخلاص الدين له وأن لا يعبد الإنسان إلا الله تعالى ولا يتوكل إلا عليه استهزأ بذلك لما عنده من الشرك ، قال تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ فمن أحب مخلوقا مثل ما يحب الخالق فهو مشرك ؛ ويجب الفرق بين: الحب

في الله ، والحب مع الله . فالأول من تمام محبة الله تعالى وتوحيده ؛ والثاني شرك .أهـ

قال ابن تيمية في الصفدية (314/2) :

فمن حيث بعث ρ لم يكن الإسلام إلا ما أمر به لأن الإسلام أن يستسلم العبد لله رب العالمين لا لغيره

فمن استسلم له ولغيره فجعل له ندا فهو مشرك قال الله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ سورة البقرة 165

ومن استكبر عن عبادة الله فلم يستسلم له فهو معطل لعبادته وهو شر من المشركين كفرعون وغيره قال الله تعالى ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ سورة غافر 60 .

والإسلام إنما يكون بأن تعبد الله وحده لا شريك له وإنما يعبد بما أمر به فكل ما أمر به فهو حين أمر به من دين الإسلام وحين نهى عنه لم يبق من دين الإسلام كما كانت الصخرة أولا من دين الإسلام ثم لما نهى عنها لم تبق من دين الإسلام فلهذا صار المتمسك بالسبت وغيره من الشرائع المنسوخة ليس من دين الإسلام فكيف بالمبدل[58] .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوي (329/2):

[58] ـ فكيف بالمشرع !!

وقد قال تعالى : ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ وقال تعالى : ﴿ أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم ﴾ وقال : ﴿ أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ﴾ .

فلو لم يكن هناك غيره لم يكن المشركون أمروه بعبادة غير الله ولا اتخاذ غير الله وليا ولا حكما فلم يكونوا يستحقون الإنكار ؛ فلما أنكر عليهم ذلك دل على ثبوت غير يمكن عبادته واتخاذه وليا وحكما

وأنه من فعل ذلك[59] فهو مشرك بالله ؛ كما قال تعالى : ﴿ فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين ﴾ وقال : ﴿ لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ وأمثال ذلك .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (412/14) :

فإن أحدا ممن يدعى من دون الله لا يملك الشفاعة . ولكن ﴿ من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ فإن الله يشفع فيه .

فالذي تنال به الشفاعة : هي الشهادة بالحق . وهي شهادة أن لا إله إلا الله . لا تنال بتولي غير الله . لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الصالحين .

فمن والى أحدا من هؤلاء ودعاه وحج إلى قبره أو موضعه ونذر له وحلف به وقرب له القرابين ليشفع له : لم يغن ذلك عنه من الله شيئا . وكان من أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره . فإن الشفاعة إنما تكون : لأهل توحيد الله وإخلاص القلب والدين له . ومن تولى أحدا من دون الله فهو مشرك .

فهذا القول والعبادة الذي يقصد به المشركون الشفاعة : يحرم عليهم الشفاعة . فالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين – ليشفعوا لهم

[59] - معين...

– كانت عبادتهم إياهم وإشراكهم بربهم الذي به طلبوا شفاعتهم : به حرموا شفاعتهم وعوقبوا بنقيض قصدهم . لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا .

وكثير من أهل الضلال : يظن أن الشفاعة تنال بهذه الأمور التي فيها شرك أو هي شرك خالص كما ظن ذلك المشركون الأولون .

وكما يظنه النصارى ومن ضل من المنتسبين إلى الإسلام . الذين يدعون غير الله ويحجون إلى قبره أو مكانه وينذرون له ويحلفون به . ويظنون : أنه بهذا يصير شفيعا لهم .

قال تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ . قال طائفة من السلف : كان أقوام يعبدون المسيح والعزير والملائكة فبين الله أنهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويله . كما بين أنهم لا يملكون الشفاعة . وهذا لا استثناء فيه وإن كان الله يجيب دعاءهم ثم قال ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ فبين أن هؤلاء المزعومين الذين يدعونهم من دون الله كانوا يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ويتقربون إليه بالأعمال الصالحة كسائر عباده المؤمنين وقد قال تعالى ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ . وللناس في الشفاعة أنواع من الضلال قد بسطت في غير هذا الموضع .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (48/15):

وقال في الكلام على قوله : ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾:

تدل على أن الاستهزاء بالله كفر وبالرسول كفر من جهة الاستهزاء بالله وحده كفر بالضرورة فلم يكن ذكر الآيات والرسول شرطا ؛ فعلم أن الاستهزاء بالرسول كفر وإلا لم يكن لذكره فائدة وكذلك الآيات .

و " أيضا " فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم والضالون مستخفون بتوحيد الله تعالى يعظمون دعاء غيره من الأموات وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به كما قال تعالى : ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ﴾ الآية . فاستهزءوا بالرسول ρ لما نهاهم عن الشرك.

وما زال المشركون يسبون الأنبياء ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد ؛ لما في أنفسهم من عظيم الشرك . وهكذا تجد من فيه شبه منهم إذا رأى من يدعو إلى التوحيد استهزأ بذلك ؛ لما عنده من الشرك قال الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾

فمن أحب مخلوقا مثل ما يحب الله فهو مشرك ؛ ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله . فهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثانا تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله وعبادته ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذبا ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذبا .

وكثير من طوائف متعددة ترى أحدهم يرى أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره أو غير قبره أنفع له من أن يدعو الله في المسجد عند السحر ؛ ويستهزئ بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد ؛ وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وبآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك.

وإذا كان لهذا وقف ولهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم ؛ مضاهاة لمشركي العرب الذين ذكرهم الله في قوله : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ﴾ الآية . فيفضلون ما يجعل لغير الله على ما يجعل لله ويقولون : الله غني وآلهتنا فقيرة .

وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه يبكي عنده ويخشع ويتضرع ما لا يحصل له مثله في الجمعة والصلوات الخمس وقيام الليل فهل هذا إلا من حال المشركين لا الموحدين.

ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم سماع الأبيات حصل له من الخشوع والحضور ما لا يحصل له عند الآيات ؛ بل يستثقلونها ويستهزئون بها وبمن يقرؤها مما يحصل لهم به أعظم نصيب من قوله : ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾ .

والذين يجعلون دعاء الموتى أفضل من دعاء الله : منهم من يحكي أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه واستغاث بشيخه فأغاثه وأن بعض المأسورين دعا الله فلم يخرجه فدعا بعض الموتى ؛ فجاءه فأخرجه إلى بلاد الإسلام . وآخر قال : قبر فلان الترياق المجرب . ومنهم من إذا نزل به شدة لا يدعو إلا شيخه قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه . وقد قال تعالى للموحدين : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ وقد قال شعيب : ﴿ يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ﴾ .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (163/15):

وكذلك الاستكبار يمنع حقيقة الذل لله ؛ بل يمنع حقيقة المحبة لله فإن الحب التام يوجب الذل والطاعة فإن المحب لمن يحب مطيع . ولهذا كان الحب درجات أعلاها " التتيم " وهو التعبد وتيم الله أي عبد الله ؛ فالقلب المتيم هو المعبد لمحبوبه وهذا لا يستحقه إلا الله وحده . والإسلام أن يستسلم العبد لله لا لغيره كما ينبئ عنه قول : " لا إله إلا الله "

فمن استسلم له ولغيره فهو مشرك ومن لم يستسلم له فهو مستكبر وكلاهما ضد الإسلام . والشرك غالب على النصارى ومن ضاهاهم من الضلال والمنتسبين إلى الأمة .أهـ

قال ابن تيمية في الرد على البكري (694/1):
ولقد بالغ السلف في الاحتياط بجنابه ρ حتى أفتى بعضهم بأن من سب فاطمة وعائشة أن يقتل ؛ وقال على هذا مضت سيرة أهل العلم
وأفتى بعض الشافعية أن من سب أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليا ψ فهو كافر ؛ وأفتى طائفة بكفر الرافضة ونقل عن أحمد أنه استفتى في من يشتم عثمان فقال هذا زندقة وروى عن أحمد رواية أخرى أنه قال من سب واحدا من الصحابة فقد كفر .أهـ

قال ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (119/2):
قال تعالى ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾
فقد بين أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا فهو كافر فمن اتخذ مَن دونَهم أربابا كان أولى بالكفر ؛ وقد ذكر أن النصارى اتخذوا من هو دونهم أربابا بقوله تعالى: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ومآ أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لآ إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ .أهـ

قال ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (359/1):

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران79 ، 80. فبين تعالى أن من يتخذ الملائكة والنبيين أربابا فهو كافر[60] مع اعتقاده أنهم مخلوقون فإنه لم يقل أحد قط أن جميع الملائكة والنبيين مشاركون لله سبحانه في خلق العالم وقد قال تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ سورة يوسف الآية 106 .

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما تسألهم من خلق السموات والأرض يقولون الله وهم يعبدون غيره وقد قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة لقمان الآية 25 .

في غير موضع فأخبر تعالى عن المشركين أنهم كانوا يقرون بأن خالق العالم واحد مع اتخاذهم آلهة يعبدونهم من دونه سبحانه يتخذونهم شفعاء إليه ويتقربون بهم إليه .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (393/3):

وصنف[61] يعمون فيقولون بحلوله أو اتحاده في جميع الموجودات – حتى الكلاب والخنازير والنجاسات وغيرها – كما يقول ذلك قوم من الجهمية ومن تبعهم من الاتحادية : كأصحاب ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني والبلياني وغيرهم " .

---

[60] ـ هو كافر « عينا » ؛ ولم يقل « لم يمكن تكفيره إلا بعد أن تقام عليه الحجة الرسالية كما قال ذلك في أهل البدع من الأشاعرة والجهمية غير الغلاة ».

[61] ـ من أهل الحلول والإتحاد.

ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهل الكتب أن الله سبحانه خالق العالمين ورب السموات والأرض وما بينهما ؛ ورب العرش العظيم والخلق جميعهم عباده وهم فقراء إليه . وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ؛ ومع هذا فهو معهم أينما كانوا ؛ كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ .

فهؤلاء[62] الضلال الكفار الذين يزعم أحدهم أنه يرى ربه بعينيه وربما زعم أنه جالسه وحادثه أو ضاجعه وربما يعين أحدهم آدميا إما شخصا ؛ أو صبيا ؛ أو غير ذلك ؛ ويزعم أنه كلمهم يستتابون فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم وكانوا كفارا ؛ إذ هم أكفر من اليهود والنصارى ﴿ الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ ؛ فإن المسيح رسول كريم وجيه عند الله في الدنيا والآخرة ومن المقربين فإذا كان الذين قالوا : إنه هو الله وإنه اتحد به أو حل فيه قد كفرهم وعظم كفرهم ؛ بل الذين قالوا إنه اتخذ ولدا حتى قال : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴾ ﴿ لقد جئتم شيئا إدا * تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ﴾ فكيف بمن يزعم في شخص من الأشخاص أنه هو ؟ هذا أكفر من الغالية الذين يزعمون أن عليا رضي الله عنه أو غيره من أهل البيت هو الله ، وهؤلاء هم " الزنادقة " الذين حرقهم علي τ بالنار وأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة وقذفهم فيها بعد أن أجلهم ثلاثا ليتوبوا فلما لم يتوبوا أحرقهم بالنار واتفقت الصحابة – رضي الله عنهم – على قتلهم لكن ابن عباس – رضي الله عنهما – كان

---

[62] ـ ضمير يعود على معينين ولا يعود فقط على نفس الفعل.

مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء.

وكذلك الغلو في بعض المشايخ : إما في الشيخ عدي " ويونس القتي أو الحلاج وغيرهم ؛ بل الغلو في علي بن أبى طالب τ ونحوه بل الغلو في المسيح عليه السلام ونحوه .

فكل من غلا في حي ؛ أو في رجل صالح كمثل علي τ أو " عدي " أو نحوه ؛ أو فيمن يعتقد فيه الصلاح ؛ كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر أو يونس القتي ونحوهم وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول : كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده أو يقول إذا ذبح شاة : باسم سيدي ، أو يعبده بالسجود له أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى ؛ مثل أن يقول : يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجرني أو توكلت عليك أو أنت حسبي ؛ أو أنا في حسبك ؛ أو نحو هذه الأقوال والأفعال ؛ التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى

فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه [63] فإن تاب وإلا قتل

فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إلها آخر.

والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى – مثل : الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، ويغوث ويعوق ونسر أو غير ذلك – لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق ؛ أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات وإنما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء أو يعبدون قبورهم ويقولون : إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى . ويقولون : هم شفعاؤنا عند الله>

---

[63] ـ والإستتابة لا تكون إلا لمعين ، ولا تكون إلا لمحكوم عليه بالردة.

فأرسل الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ؛ ولا دعاء استغاثة . وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ . قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة ؛ فقال الله لهم : هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون إلي كما تتقربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ فأخبر سبحانه : أن ما يدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في الملك وأنه ليس له من الخلق عون يستعين به وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه . وقال تعالى : ﴿ وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ وقال تعالى : ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض ﴾ الآية .

وعبادة الله وحده : هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فقال تعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾.

وكان النبي ρ يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى ﴿ قال له رجل : ما شاء الله وشئت . فقال : أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده ﴾ وقال : ﴿ لا تقولوا :

ما شاء الله وشاء محمد ؛ ولكن ما شاء الله ثم شاء محمد ﴾ ونهى عن الحلف بغير الله فقال : ﴿ من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ﴾

وقال : ﴿ من حلف بغير الله فقد أشرك ﴾ وقال : ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله ﴾ . ولهذا اتفق العلماء على أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها . ونهى النبي ρ عن السجود له ولما سجد بعض أصحابه نهاه عن ذلك وقال : ﴿ لا يصلح السجود إلا لله ﴾ وقال : ﴿ لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ﴾ وقال لمعاذ بن جبل τ : ﴿ أرأيت لو مررت بقبري أكنت ساجدا له ؟ قال : لا . قال : فلا تسجد لي ﴾ . ونهى النبي ρ عن اتخاذ القبور مساجد ؛ فقال في مرض موته : ﴿ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها ولولا ذلك لأبرز قبره ؛ ولكن كره أن يتخذ مسجدا . وفي الصحيح عنه ρ أنه قال قبل أن يموت بخمس : ﴿ إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا بيتي عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني ﴾ ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المسجد على القبور ، ولا تشرع الصلاة عند القبور ؛ بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة .

والسنة في زيارة قبور المسلمين نظير الصلاة عليهم قبل الدفن قال الله تعالى في كتابه عن المنافقين ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ﴾ فكان دليل الخطاب أن المؤمنين يصلى عليهم ويقام على قبورهم . وكان النبي ρ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا : ﴿ السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين . وإنا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين . نسأل الله لنا ولكم العافية . اللهم لا تحرمنا أجرهم ؛ ولا تفتنا بعدهم ؛ واغفر لنا ولهم ﴾ . وذلك أن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان التعظيم للقبور بالعبادة ونحوها ، قال الله تعالى في كتابه : ﴿ وقالوا لا تذرن

آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ . قال طائفة من السلف : كانت هذه أسماء قوم صالحين ؛ فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها . ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبي ρ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لأن التقبيل والاستلام إنما يكون لأركان بيت الله الحرام فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق . وكذلك الطواف والصلاة والاجتماع للعبادات إنما تقصد في بيوت الله وهي المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . فلا تقصد بيوت المخلوقين فتتخذ عيدا كما قال ρ ﴿ لا تتخذوا بيتي عيدا ﴾ كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملا إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه وكما قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام ، وأعظمه فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ . وقال ρ (﴿ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ﴾ . والإله : الذي يألهه القلب عبادة له واستعانة ورجاء له وخشية وإجلالا وإكراما .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى **(31/14)** :

فالعبد يفتقر إلى الله من جهة أنه معبوده الذي يحبه حب إجلال وتعظيم فهو غاية مطلوبه ومراده ومنتهى همته ولا صلاح له إلا بهذا وأصل الحركات الحب والذي يستحق المحبة لذاته هو الله

فكل من أحب مع الله شيئا فهو مشرك وحبه فساد ؛ وإنما الحب الصالح النافع حب الله والحب لله والإنسان فقير إلى الله من جهة عبادته له ومن جهة استعانته به للاستسلام والانقياد لمن أنت إليه فقير وهو ربك وإلهك .

وهذا العلم والعمل أمر فطري ضروري ؛ فإن النفوس تعلم فقرها إلى خالقها وتذل لمن افتقرت إليه ؛ وغناه من الصمدية التي انفرد بها فإنه ﴿ يسأله من في السماوات والأرض ﴾ وهو شهود الربوبية بالاستعانة والتوكل والدعاء والسؤال[64] ؛ ثم هذا لا يكفيها حتى تعلم ما يصلحها من العلم والعمل وذلك هو عبادته والإنابة إليه[65] ؛ فإن العبد إنما خلق لعبادة ربه فصلاحه وكماله ولذته وفرحه وسروره في أن يعبد ربه وينيب إليه وذلك قدر زائد على مسألته والافتقار إليه ؛ فإن جميع الكائنات حادثة بمشيئته قائمة بقدرته وكلمته محتاجة إليه فقيرة إليه مسلمة له طوعا وكرها فإذا شهد العبد ذلك وأسلم له وخضع فقد آمن بربوبيته ؛ ورأى حاجته وفقره إليه صار سائلا له متوكلا عليه مستعينا به إما بحاله أو بقاله بخلاف المستكبر عنه المعرض عن مسألته . ثم هذا المستعين به السائل له إما أن يسأل: ما هو مأمور به ؛ أو ما هو منهي عنه ؛ أو ما هو مباح له ؛ ف " الأول " حال المؤمنين السعداء الذين حالهم ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ و" الثاني " حال الكفار والفساق والعصاة الذين فيهم إيمان به وإن كانوا كفارا كما قال : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ فهم مؤمنون بربوبيته مشركون في عبادته كما قال النبي ρ لحصين الخزاعي : يا حصين كم تعبد ؟ قال : سبعة آلهة : ستة في الأرض وواحدا في السماء قال : فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك ؟ قال : الذي في السماء قال : أسلم حتى أعلمك كلمة ينفعك الله تعالى بها فأسلم فقال : قل :

---

[64] ـ هذا يمثل توحيد الربوبية.

[65] ـ وهذا هو توحيد الألوهية الذي يدخل به المرأ الإسلام ويصير به مسلماً .

اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي » رواه أحمد وغيره . ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ أخبر سبحانه أنه قريب من عباده يجيب دعوة الداعي إذا دعاه فهذا إخبار عن ربوبيته لهم وإعطائه سؤلهم وإجابة دعائهم ؛ فإنهم إذا دعوه فقد آمنوا بربوبيته لهم وإن كانوا مع ذلك كفارا من وجه آخر وفساقا أو عصاة قال تعالى : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ ونظائره في القرآن كثيرة ثم أمرهم بأمرين فقال : ﴿ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ فـ " الأول " أن يطيعوه فيما أمرهم به من العبادة والاستعانة و" الثاني " الإيمان بربوبيته وألوهيته وأنه ربهم وإلههم . ولهذا قيل : إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد وعن كمال الطاعة ؛ لأنه عقب آية الدعاء بقوله : ﴿ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي ﴾ والطاعة والعبادة هي مصلحة العبد التي فيها سعادته ونجاته وأما إجابة دعائه وإعطاء سؤاله فقد يكون منفعة وقد يكون مضرة قال تعالى : ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم ﴾ وقال تعالى عن المشركين : ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ وقال : ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم ﴾ وقال : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ وقال : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴾ الآية وقال : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من

العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ ؛ وقال النبي ρ لما دخل على أهل جابر فقال : لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير ؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ﴾ .

فالعبد كما أنه فقير إلى الله دائما في إعانته وإجابة دعوته وإعطاء سؤاله وقضاء حوائجه ؛ فهو فقير إليه في أن يعلم ما يصلحه وما هو الذي يقصده ويريده وهذا هو الأمر والنهي والشريعة ؛ وإلا فإذا قضيت حاجته التي طلبها وأرادها ولم تكن مصلحة له كان ذلك ضررا عليه وإن كان في الحال له فيه لذة ومنفعة ؛ فالاعتبار بالمنفعة الخالصة أو الراجحة ؛ وهذا قد عرفه الله عباده برسله وكتبه : علموهم وزكوهم وأمروهم بما ينفعهم ونهوهم عما يضرهم وبينوا لهم أن مطلوبهم ومقصودهم ومعبودهم يجب أن يكون هو الله وحده لا شريك له ؛ كما أنه هو ربهم وخالقهم وأنهم إن تركوا عبادته أو أشركوا به غيره خسروا خسرانا مبينا وضلوا ضلالا بعيدا وكان ما أوتوه من قوة ومعرفة وجاه ومال وغير ذلك – وإن كانوا فيه فقراء إلى الله مستعينين به عليه مقرين بربوبيته – فإنه ضرر عليهم ولهم بئس المصير وسوء الدار . وهذا هو الذي تعلق به الأمر الديني الشرعي والإرادة الدينية الشرعية كما تعلق بالأول الأمر الكوني القدري والإرادة الكونية القدرية . والله سبحانه قد أنعم على المؤمنين بالإعانة والهداية ؛ فإنه بين لهم ، هداهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وأعانهم على اتباع ذلك علما وعملا كما من عليهم وعلى سائر الخلق بأن خلقهم ورزقهم وعافاهم ومن على أكثر الخلق بأن عرفهم ربوبيته لهم وحاجتهم إليه وأعطاهم سؤلهم وأجاب دعاءهم قال تعالى : ﴿ يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾ فكل أهل السموات والأرض يسألونه.

فصارت الدرجات أربعة .

" قوم " لم يعبدوه ولم يستعينوه وقد خلقهم ورزقهم وعافاهم .

و " قوم " استعانوه فأعانهم ولم يعبدوه .

و " قوم " طلبوا عبادته وطاعته ولم يستعينوه ولم يتوكلوا عليه .

و " الصنف الرابع " الذين عبدوه واستعانوه فأعانهم على عبادته وطاعته وهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقد بين سبحانه ما خص به المؤمنين في قوله : ﴿ حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على أفضل المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (350/1):

وقد ذكر علماء الإسلام وأئمة الدين الأدعية الشرعية وأعرضوا عن الأدعية البدعية فينبغي اتباع ذلك .

والمراتب في هذا الباب ثلاث :

إحداها: أن يدعو غير الله وهو ميت أو غائب سواء كان من الأنبياء والصالحين أو غيرهم فيقول : يا سيدي فلان أغثني أو أنا أستجير بك أو أستغيث بك أو انصرني على عدوي . ونحو ذلك فهذا هو الشرك بالله.

والمستغيث بالمخلوقات قد يقضي الشيطان حاجته أو بعضها وقد يتمثل له في صورة الذي استغاث به فيظن أن ذلك كرامة لمن استغاث به ؛ وإنما هو شيطان دخله وأغواه لما أشرك بالله كما يتكلم الشيطان في الأصنام وفي المصروع وغير ذلك ومثل هذا واقع كثيرا في زماننا وغيره.

وأعرف من ذلك ما يطول وصفه في قوم استغاثوا بي أو بغيري وذكروا أنه أتى شخص على صورتي أو صورة غيري وقضى حوائجهم فظنوا أن ذلك من بركة الاستغاثة بي أو بغيري وإنما هو شيطان أضلهم وأغواهم وهذا هو أصل عبادة

الأصنام واتخاذ الشركاء مع الله تعالى في الصدر الأول من القرون الماضية كما ثبت ذلك فهذا أشرك بالله نعوذ بالله من ذلك.

وأعظم من ذلك أن يقول : اغفر لي وتب علي كما يفعله طائفة من الجهال المشركين.

وأعظم من ذلك أن يسجد لقبره ويصلي إليه ويرى الصلاة أفضل من استقبال القبلة حتى يقول بعضهم : هذه قبلة الخواص والكعبة قبلة العوام .

وأعظم من ذلك أن يرى السفر إليه من جنس الحج حتى يقول إن السفر إليه مرات يعدل حجة وغلاتهم يقولون : الزيارة إليه مرة أفضل من حج البيت مرات متعددة .

ونحو ذلك فهذا شرك بهم وإن كان يقع كثير من الناس في بعضه .أهـ

قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (191/5):

وكل من استكبر من عبادة الله لا بد أن يعبد غيره ، فإن الإنسان حساس يتحرك بالإرادة.

وقد ثبت في الصحيح: عن النبي ρ أنه قال: ﴿ أصدق الأسماء حارث وهمام ﴾ فالحارث الكاسب الفاعل ، والهمام فعال من الهم ، والهم أول الإرادة ؛ فالإنسان له إرادة دائما ، وكل إرادة فلا بد لها من مراد تنتهي إليه ، فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته. فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عن ذلك ، فلا بد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله ، فيكون عبدا لذلك المراد المحبوب: إما المال ، وإما الجاه ، وإما الصور ، وإما ما يتخذه إلها من

دون الله: كالشمس ، والقمر ، والكواكب ، والأوثان ، وقبور الأنبياء ، والصالحين ، أو من الملائكة والأنبياء ، الذين يتخذهم أربابا ، أو غير ذلك مما عبد من دون الله.

وإذا كان عبدا لغير الله يكون مشركا ، وكل مستكبر فهو مشرك ، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكبارا عن عبادة الله ، وكان مشركا. قال تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب ﴾ إلى قوله: ﴿ وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴾ إلى قوله: ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾. وقال تعالى: ﴿ وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين ﴾ وقال تعالى: ﴿ إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ﴾ وقال: ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ ، ومثل هذا في القرآن كثير.

وقد وصف فرعون بالشرك في قوله: ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك ﴾. بل الاستقراء يدل على أنه كلما كان الرجل أعظم استكبارا عن عبادة الله كان أعظم إشراكا بالله؛ لأنه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقره وحاجته إلى المراد المحبوب الذي هو المقصود: مقصود القلب بالقصد الأول ، فيكون مشركا بما استعبده من ذلك.

ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه ، ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه ، ولا يوالي إلا من والاه الله ، ولا يعادي إلا من عاداه الله ، ولا يحب إلا لله ، ولا يبغض شيئا إلا لله ، ولا يعطي إلا لله ، ولا يمنع إلا لله ، فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات ، وبكمال عبوديته لله يبرئه من الكبر والشرك.

والشرك غالب على النصارى ، والكبر غالب على اليهود. قال تعالى في النصارى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا

إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ وقال في اليهود: ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾. وقال تعالى: ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ﴾. ولما كان الكبر مستلزما للشرك ، والشرك ضد الإسلام ، وهو الذنب الذي لا يغفره الله – قال تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ وقال: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ – كان الأنبياء جميعهم مبعوثين بدين الإسلام ، فهو الدين الذي لا يقبل الله غيره ، لا من الأولين ولا من الآخرين. قال نوح: ﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ وقال في حق إبراهيم: ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ﴾ إلى قوله: ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾. وقال يوسف: ﴿ توفني مسلما وألحقني بالصالحين ﴾ وقال موسى: ﴿ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ، فقالوا على الله توكلنا ﴾ وقال تعالى: ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾ وقالت بلقيس ﴿ رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ وقال: ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأنا مسلمون ﴾ وقال ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ وقال: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾. وقال تعالى: ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها ﴾ فذكر إسلام الكائنات طوعا وكرها ، لأن المخلوقات جميعها متعبدة له التعبد العام ، سواء أقر المقر بذلك أو أنكره ، وهم مدينون مدبرون ، فهم مسلمون له طوعا وكرها. ليس لأحد من المخلوقات خروج عما شاءه وقدره وقضاه ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وهو رب العالمين ، ومليكهم يصرفهم كيف يشاء ، وهو خالقهم كلهم وبارئهم ومصورهم ،

وكل ما سواه فهو مربوب ، مصنوع ، مفطور ، فقير ، محتاج ، معبد ، مقهور ، وهو الواحد القهار الخالق البارئ المصور. وهو وإن كان قد خلق ما خلق بأسباب ، فهو خالق السبب والمقدر له ، وهو مفتقر إليه كافتقار هذا.

<u>وليس في المخلوقات سبب مستقل بفعل ولا دفع ضرر بل كل ما هو سبب فهو محتاج إلى سبب آخر يعاونه وإلى ما يدفع عنه الضد الذي يعارضه ويمانعه. وهو سبحانه وحده الغني عن كل ما سواه ، ليس له شريك يعاونه ولا ضد يناوئه ويعارضه. قال تعالى: ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾ وقال تعالى: ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ﴾</u>

وقال تعالى عن الخليل: ﴿ يا قوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين * وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾. وفي الصحيحين: ﴿ عن ابن مسعود τ إن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبي وقالوا: يا رسول الله ، أينا لم يلبس إيمانه بظلم ، فقال: إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾.

وإبراهيم الخليل إمام الحنفاء المخلصين حيث بعث وقد طبق الأرض دين المشركين ، قال الله تعالى: ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ فبين أن عهده بالإمامة لا يتناول الظالم ، فلم يأمر الله سبحانه أن يكون الظالم إماما ، وأعظم الظلم الشرك. وقال تعالى: ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ﴾. " والأمة " هو معلم الخير الذي يؤتم به ، كما أن " القدوة " الذي يقتدى به. والله تعالى جعل في

ذريته النبوة والكتاب ، وإنما بعث الأنبياء بعده بملته قال تعالى: ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴾. وقال تعالى: ﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾ وقال تعالى: ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ﴾ – إلى قوله – ﴿ ونحن له مسلمون ﴾. وقد ثبت في الصحيح: عن النبي ρ « أن إبراهيم خير البرية » فهو أفضل الأنبياء بعد النبي وهو خليل الله تعالى. وقد ثبت في الصحيح عن النبي ρ من غير وجه أنه قال: ﴿ إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ﴾ وقال: ﴿ لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله ﴾ – يعني نفسه – وقال ﴿ لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر ﴾.

وقال: « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك » وكل هذا في الصحيح. وفيه أنه قال: ذلك قبل موته بأيام ، وذلك من تمام رسالته. فإن في ذلك تحقيق تمام مخاللته لله التي أصلها محبة الله تعالى للعبد ، ومحبة العبد لله خلافا للجهمية.

وفي ذلك تحقيق توحيد الله ، وأن لا يعبدوا إلا إياه ، ورد على أشباه المشركين.

وفيه رد على الرافضة الذين يبخسون الصديق حقه ، وهم أعظم المنتسبين إلى القبلة إشراكا بالبشر. أهـ

** التصريح أن مرتكب الشرك كافر أصلي إذا كان جاهلا لبطلان الشرك غير متبرئ منه

جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية لشمس الدين الأفغاني 1/ 525:

لقد أجاب علماء الحنفية عن هذه الشبهة بعدة وجوه أذكر منها:

الوجه الأول: أن علماء الحنفية قد حققوا:

أن من ركني التوحيد: ركن النفي، وهو نفي جميع ما يعبد من دون الله؛ سواء كان صنمًا أو حجرًا أو شجرًا، أو وثنًا، أو ملكًا مقربًا، أو نبيا مرسلًا، أو وليا كاملًا، أو رجلًا عاديا عاميا، أو جنيا، أو غير ذلك

فمن أقر بكلمة التوحيد ((لا إله إلا الله)) - ولكنه لم يتجنب من عبادة غير الله من الاستغاثة بالأموات، والنذر لهم عند الملمات ونحو ذلك - فلا يتحقق توحيده، ولا ينفعه التلفظ بكلمة التوحيد.

وللعلامتين الآلوسيين كلام في غاية الأهمية في أن المسلم إذا تلفظ بالكفر وجحد ما هو من الضروريات كالتوحيد الذي هو دين الرسل فقد كفر ولو مزحًا.

إذاً بطل اتهام القبورية بأن الوهابية خوارج يكفرون المؤمنين الموحدين.

الوجه الثاني:

أن علماء الحنفية قد صرحوا: بأن من شروط صحة التوحيد - فهم معنى: ((لا إله إلا الله)) - فمن قال هذه الكلمة بدون فهم معناها، ويرتكب الشرك، ويعبد غير الله - لا يدخل في الإسلام ولا يصح توحيده.

قلت:

إذا كان الأمر كذلك - لا يصح زعم القبورية أن المستغيثين بالأموات والناذرين لهم عند الكربات - موحدون مؤمنون

فبطل تهمة الخروج، وتهمة تكفير المؤمنين الموحدين.

الوجه الثالث: أن علماء الحنفية قد ذكروا في شروط صحة التوحيد:التصديق المنافي للتكذيب.

ولا شك أن القبورية مع قولهم: ((لا إله إلا الله)) يكذبون معناها – بارتكابهم للشرك الأكبر، وعبادة غير الله؛ فالقبورية في الحقيقة مكذبون لهذه الكلمة لا مصدقون بها، وإن كانوا يقولونها باللسان.

وبهذا ثبت أن القبورية ليسوا موحدين ولا مؤمنين * وبطلت شبهة تكفير المؤمنين الموحدين *

الوجه الرابع: أن علماء الحنفية اشترطوا لصحة التوحيد:

الإخلاص المنافي للشرك.

ولا ريب أن القبورية لم يحققوا هذا الشرط؛ لأنهم مع تلفظهم بكلمة التوحيد – يرتكبون الشرك البواح * والكفر الصراح * ويعبدون الأموات بأنواع من العبادات * فلا يصح توحيدهم * مع ندائهم الأموات عند الكربات *.

وإذا كان الأمر كذلك – فأنى للقبورية أن يكونوا مؤمنين موحدين *

وثبت أن القبورية كذابون متقولون على أئمة التوحيد والسنة في أنهم خوارج، وأنهم يكفرون المؤمنين الموحدين *.

الوجه الخامس: أن علماء الحنفية صرحوا بأن الركن الأهم في الإيمان * – هو التصديق بالجنان *.

وأئمتهم الثلاثة: أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد، وغيرهم، كالطحاوي وغيره – يجعلون الإقرار باللسان أيضًا ركنًا للإيمان *

فإذا كان الأمر كذلك – فالقبورية لم يحققوا التصديق بالجنان * لارتكابهم الشرك الأكبر، وعبادتهم للأموات * من الاستغاثة، والنذور عند الكربات

فزالت شبهة تكفير المسلمين المؤمنين الموحدين من أصلها، وبطلت تهمة الخروج.

الوجه السادس: أن علماء الحنفية قد صرحوا بعدم تكفير أهل القبلة، لكن إذا لم ينكر أحد منهم ما هو من ضروريات الدين

فمن أنكر ما هو من ضروريات الدين *، وارتكب ما هو كفر بواح * وشرك صراح * – فهو عندهم كافر

حتى أن كثيرًا منهم لا يعذرون بالجهل في ذلك، وإن كان مواظبًا طول عمره على الطاعات.

قلت:

بناء على نصوص هؤلاء العلماء من الحنفية – لا شك أن القبورية قد ارتكبوا كفرًا بواحًا * وشركًا صراحًا * وأنكروا ما هو من ضروريات الدين: من التوحيد، وإفراد الله تعالى بالعبادة

فيتحقق كفرهم عند علماء الحنفية، ولا يعذرون بالجهل، ولكن لا يجوز تكفيرهم قبل إقامة الحجة عليهم وإيضاح المحجة لهم عند أئمة السنة، والحنفية.

وبهذا قد بطلت شبهة القبوريين * وذهب اتهامهم لأئمة الدعوة بأنهم خوارج يكفرون المسلمين * – أدراج الرياح * وأنهم على أئمة السنة باغون أقحاح *، وأن القبورية في هذا الاتهام كذابون أفاكون * ساقطون عن العدالة خائنون مائنون * كما أنهم بهاتون متقولون في زعمهم أن الوهابية يعمدون إلى آيات نزلت في الكفار المشركين * والأوثان، فيحرفونها ويحملونها على المؤمنين الموحدين *.

الجواب السابع: أن علماء الحنفية قديمًا وحديثًا أشد الناس في التكفير وأسرع الناس إليه ويكفرون بأشياء قد لا تكون من الكفر البواح مباشرة إلا بالوسائط التي لم يلتزمها ذلك القائل الذي يحكمون عليه بالكفر، وقد اشتكى تهورهم وإسراعهم إلى التكفير كثير من الناس.

وقد خصص كثير من علماء الحنفية عدة مباحث للتكفير في كتبهم، وبوبوا لذلك واهتموا بجمع ألفاظ الكفر والتصريح بالتكفير بها، وفي ذلك من العجائب والغرائب من تكفير المسلمين، بأشياء قد تصدر خطأ، أو بزلة لسان * دون قصد الجنان *، وقد جمع

العلامة القاري (1014هـ) ألفاظ الكفر وكلمات الارتداد عند الحنفية فأوعى وذكر العلامة الآلوسي (1317هـ) طرفًا من ذلك أيضًا.

بل قد ألف بعض الحنفية كتابًا في ألفاظ الكفر وكلمات الارتداد والأقوال التي يكفرون بها المسلم الذي صلى وصام، وزكى، وحج، وعبد الله طوال عمره.

قلت: إذا كان الأمر كما وصفت – فلم لا يوجه القبورية – ولا سيما قبورية الحنفية * طعونهم وسهامهم إلى الحنفية؟!؟ * – ولم لا يحكمون عليهم بأنهم خوارج كلاب النار * وأنهم جعلوا المسلمين كالكفار !

تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني ص65:

فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعَلَه المشركون وصاروا به مشركين، ولا ينفعهم قولهم: نحن لا نشركُ بالله شيئاً، لأنَّ فعلَهم أَكْذبَ قولَهم.

فإن قلتَ: هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه.

قلتُ: قد صرَّح الفقهاء في كتب الفقه في باب الرِّدة أنَّ مَن تكلَّم بكلمة الكفر يَكفر وإن لَم يقصد معناها

وهذا دالٌّ على أنَّهم لا يعرفون حقيقةَ الإسلام، ولا ماهية التوحيد، فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصليًّا.

فإنَّ الله تعالى فَرَضَ على عباده إفرادَه بالعبادة {أَلَاّ تَعْبُدُوا إِلَاّ اللَّهَ} ، وإخلاصها له [98: 5] {وَمَا أُمِرُوا إِلَاّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} ، ومَن نادى الله ليلاً ونهاراً وسرًّا وجهاراً وخوفاً وطمعاً، ثمَّ نادى معه غيرَه فقد أشرك في العبادة، فإنَّ الدعاءَ من العبادة، وقد سمَّاه الله تعالى عبادةً في قوله تعالى: [40: 60] {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} بعد قوله: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}.

جاء في المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد تقديم عبد الله السعد (336/1):

وإليكم: بعض مقتطفات من رسائل أئمة الدعوة ، التي سطَّروها بأيديهم ليجلوا فيها: حكم من وقع في الشرك الأكبر بجهل وتأويل ، ليتقرَّب به إلى الله زلفى في وقت حال فيه: الجهل ، وعجمة اللسان ، وخفاء العلم ، مع شيوع التلبيس والتحريف ، عن إقامة الحجة.

وقرر هؤلاء الأئمة الأعلام: أن القيام بالتوحيد ، والانخلاع من الشرك ، هو أصل الأصول الاعتقادية ، ولقد قامت الحجة فيه على الناس بالرسول والقرآن.

وأن التعريف يكون في: المسائل الخفية دون الجلية.

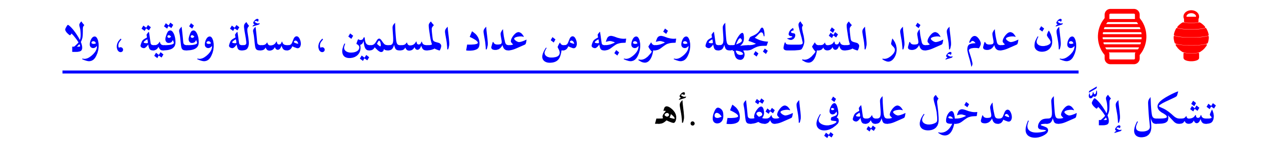
وأن عباد القبور ليسوا بمسلمين ، ولا يدخلون في مسمَّى الإسلام.

ومن ثم فعندما يطلق الأئمة: النهي عن تكفير المسلمين ، فهو مقيد بعبَّاد القبور وأمثالهم من المشركين ، لأنهم ليسوا من أهل القبلة.

فالشرك الأكبر مناف للتوحيد والإسلام ، ومضاد لهما من كل وجه.

والعبد يستحيل أن يكون مسلمًا ، إلاَّ بفعل التوحيد والتزام أحكامه ، مع البراءة والانخلاع من الشرك والمشركين.

وأن المشرك الجاهل من هذه الأمة ، الذي لم يتمكن من معرفة الحق لعجزه ، ولم تقم عليه حجة البلاغ ، فحكمه – على أقل الأحوال – حكم أهل الفترات ، وليس بمسلم على أية حال.


وأن عدم إعذار المشرك بجهله وخروجه من عداد المسلمين ، مسألة وفاقية ، ولا تشكل إلاَّ على مدخول عليه في اعتقاده .أهـ

في الدرر السنية (422/5):

وأجاب الشيخ عبد الله والشيخ إبراهيم: ابنا الشيخ عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان:

لا تصح إمامة من لا يكفر الجهمية والقبوريين أو يشك في كفرهم.

وهذه المسألة من أوضح الواضحات عند طلبة العلم وأهل الأثر ، وذكروا نحواً مما تقدم من كلام الشيخ عبد اللطيف

ثم قالوا: وكذلك القبوريون لا يشك في كفرهم من شم رائحة الإيمان.

وقد ذكر شيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم، رحمهما الله، في غير موضع: أن نفي التكفير بالمكفرات قوليها وفعليها، فيما يخفى دليله ولم تقم الحجة على فاعله.

وأن النفي يراد به نفي تكفير الفاعل وعقابه قبل قيام الحجة عليه

وأن نفي التكفير مخصوص بمسائل النّزاع بين الأمة.

وأما دعاء الصالحين، والاستغاثة بهم، وقصدهم في الملمات والشدائد، فهذا لا ينازع مسلم في تحريمه، والحكم بأنه من الشرك الأكبر

فليس في تكفيرهم، وتكفير الجهمية قولان.

وأما الإباضية في هذه الأزمان، فليسوا كفرقة من أسلافهم، والذي بلغنا أنهم على دين عباد القبور، وانتحلوا أموراً كفرية لا يتسع ذكرها هنا.

ومن كان بهذه المثابة، فلا شك في كفره

فلا يقول بإسلامهم إلا مصاب في عقله ودينه، ولا تصح خلف من لا يرى كفر هؤلاء الملاحدة ، أو يشك في كفرهم .أهـ

جاء في منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (4/2):

وأما الذي أمر أهله أن يحرقوه ويذروه ، فهذا لم تقم عليه الحجة التي يكفر مخالفها ، وأهل الفترة لا يقاسون بغيرهم.

والشيخ قصده أن الأصول قد يجري فيها ذلك ، وليس المراد أن كل من عرضت له شبهة في الأصول يعذر بها ، وسيأتيك لهذا مزيد بيان إن شاء الله.

واعلم أن المراد بقول الشيخ في المنع من تكفير أهل الأهواء ومن عرضت له شبهة يعذره الله فيها ، المقصود به: العذر في الجملة ، فيصدق بعدم التكفير ، ولو مع وجود الفسق والعقاب كما جاء في الخوارج ونحوهم.

والشيخ قيد التكفير المنفي بقوله: أول من أحدث تكفير المسلمين أهل الأهواء.

وعباد القبور ليسوا عنده بمسلمين

وصناعة العلم محظورة ممنوعة على من لم يعرف توحيد الإلهية ، وفاته النصيب والحظ من الأنوار الرسالية ، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب ، يبصر به صاحبه الحقائق على ما هي عليه .أهـ

قال الخضير في الجمع والتجريد (114/1):

خلاصة هذه الرسالة:

أن الشيخ أنكر على بعض طلابه التوقف في تكفير(لاحظ لفظ التكفير) الجهال بحجة أنهم ما فهموا ولأنهم جهال ، وأن هذا غلط ، وأفاد طلابه ألاّ يتوقفوا في تكفير الجهال إلا ثلاثة : من كان حديث عهد بإسلام ، ومن نشأ وعاش في بادية وفي بعض رسائله أضاف شخصاً آخر وهو من نشأ وعاش في بلاد الكفر

وفي المسائل الخفية ، وبيّن لهم أن عبادة القبور ليست من المسائل الخفية.

ويجب أن يُفهم أن الشيخ محمد قال بعدم تكفير الثلاثة فنفى عنهم لحوق اسم الكفر لأن هؤلاء الثلاثة لم يسمعوا الحجة ولم تبلغهم

أما اسم الشرك واسم المشركين فيلحق هؤلاء الثلاثة ويُسمون مشركين وعابدي غير الله واتخذوا مع الله آلهة ويُنفى عنهم اسم الإسلام

كل ذلك يلحقهم لأنهم يفعلون الشرك فاسمه يتناولهم ويصدق عليهم

أما اسم الكفر وأحكام الكفار من القتل والتعذيب فلا يلحقهم لأنه لم تقم عليهم الحجة

لأن الكفر معناه جحد أو تكذيب للرسول فيكون أتاه خبر الرسول ثم جحده أو كذبه أو عانده أو تولى عنه أو أعرض ، ومعنى أتاه خبر الرسول أي قامت عليه الحجة

أما اسم الشرك فهو عبادة غير الله وليس له ارتباط بالحجة كما قال ابن تيمية في الفتاوى 20/38–37 وهو مبحث مهم جدا قال:

اسم المشرك يثبت قبل الرسالة (أي قبل الحجة)لأنه يشرك بربه ويعدل به ،

ويجب أن تفهم أن الشيخ إذا قال لا أكفر كذا وكذا أنه ينفي اسم الكفر فقط (وانتبه لهذا التفقيط)

لكن لا يلزم لمن نفى عنه التكفير أنه مسلم أو يُعطى حكم الإسلام أو المسلمين فلا لأن الشيخ يفرق بين ذلك .

وبعد استعرضنا لنصوص الشيخ محمد بن عبد الوهاب اتضح أن الشيخ يكفر بالجهل بعد ظهور دعوته إلا أشخاصاً معينين لا يكفرهم لكن لا يسميهم مسلمين أو موحدين بل

مشركين كأهل البادية وحد ثاء العهد ومن عاش ونشا في بلاد الكفر ، وأنه لا يعذر ما عدا ذلك في اسم الكفر أما اسم الشرك لمن يفعله فلا يعذر أحدا لا الثلاثة ولا غيرهم .أهـ

جاء في الدرر السنية (3/2):

قال رحمه الله – الشيخ محمد بن عبد الوهاب- وهذه العبادات التي صرفها المشركون لألهتهم هي أفعال العباد الصادرة منه كالحب والخضوع الإنابة والتوكل والدعاء والاستعانة والاستغاثة والخوف والرجاء والنسك والتقوى والطواف ببيته رغبة ورجاء وتعلق القلوب والآمال بفيضه ومده وإحسانه وكرمه فهذه الأنواع أشرف أنواع العبادة وأجلّها بل هي لبّ سائر الأعمال الإسلامية وخلاصتها وكل عمل يخلو منها فهو خداج مرود علي صاحبها .

وإنما أشرك وكفر من كفر من المشركين بقصد غير الله بهذا وتأليهه غير الله بذلك قال تعالى : (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) [النحل :17] وقال تعالى : (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) [الأنبياء :43] وقال تعالى : (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) الآية [الفرقان :3].

وحكى عن أهل النار أنهم يقولون لألهتهم التي عبدوها مع الله (تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين) [الشعراء : 97–98] ومعلوم : أنهم ما ساووهم به ، في الخلق ، والتدبير ، والتأثير ، وإنما كانت التسوية ، في الحب ، والخضوع ، والتعظيم ، والدعاء ونحو ذلك من العبادات .

قال رحمه الله: فجنس هؤلاء المشركين ، وأمثالهم ، ممن يعبد الأولياء ، والصالحين ، نحكم بأنهم مشركون ؛ ونرى كفرهم إذا قامت عليهم الحجة الرسالية

وما عدا هذا من الذنوب ، التي هي دونه في المرتبة والمفسدة ، ولا نكفر بها .

ولا نحكم على أحد من أهل القبلة ، الذين باينوا لعباد الأثاون والأصنام والقبور ، بمجرد ذنب ارتكبوه ، وعظيم جرم اجترحوه ؛ وغلاة الجهمية والقدرية والرافضة ، ونحوهم ممن كفرهم السلف : لا نخرج فيهم عن أقوال أئمة الهدى والفتوى ، من سلف هذه الأمة ؛ ونبرأ إلى الله مما أتت به الخوارج ، وقالته في أهل الذنوب من المسلمين.

قال رحمه الله : وبمجرد الإتيان بلفظ الشهادة ، من غير علم بمعناها ، ولا عمل بمقتضاها : لا يكون به المكلف مسلماً

بل هو حجة على ابن آدم ، خلافاً لمن زعم : أن الإيمان مجرد الإقرار ، كالكرامية ؛ ومجرد التصديق كالجهمية .أهـ

الدرر السنية (17–266):

فإسلام الوجه لله هو عبادته ، والكفر بعبادة من سواه ، وهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله

وهذه الكلمة تتضمن العلم والعمل مع القول ، فلا يكتفي ببعض ذلك ؛ بل لا بد من العلم والعمل والشهادة .أهـ

في الدرر السنية (142/13):

= الشيخ حسين والشيخ عبد الله ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في أثناء جواب لهما

وأما أهل القرية الذين عاهدوا على الإسلام ، ولم يهدموا القباب ، ولم يعادوا ، ولم يوالوا ، وفيهم رجلان أو ثلاثة يدعون التوحيد.

فاعلم رحمك الله: أن مجرد العهد على الإسلام ، لا يكون الرجل به مسلما ، حتى يعمل بما عاهد عليه ، من توحيد الله ، والتبري من الشرك وأهله ، وإقامة الصلوات الخمس في أوقاتها ، بشروطها وأركانها ، وأداء الزكاة المفروضة ، والإيمان بجميع ما جاء به الرسول ρ

وإذا عاهد على الإسلام ولم يعمل به ، واستمر على الشرك بالله ، فإنه يكون مرتدا عن الإسلام ، وذنبه أعظم من ذنب الكافر الأصلي ، الذي لم يعاهد قط ، ولم يظهر الإسلام.أهـ

جاء في كتاب الإرشاد للفوزان (25/1):

والذي دعت إليه الرسل من النوعين هو توحيد الألوهية ؛ لأن توحيد الربوبية يقر به جمهور الأمم ، ولم ينكره إلا شواذ من الخليقة ؛ أنكروه في الظاهر فقط

والإقرار به وحده لا يكفي ؛ فقد أقر به إبليس : { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي } . . . . ، وأقر به المشركون الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كما دلت على ذلك الآيات البينات؛ كما قال تعالى : { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ }

فمن أقر بتوحيد الربوبية فقط؛ لم يكن مسلما، ولم يحرم دمه ولا ماله، حتى يقر بتوحيد الألوهية؛ فلا يعبد إلا الله .

وبهذا يتبين بطلان ما يزعمه علماء الكلام والصوفية من أن التوحيد المطلوب من العباد هو الإقرار بأن الله هو الخالق المدبر، ومن أقر بذلك؛ صار عندهم مسلما، ولهذا يعرفون التوحيد في الكتب التي ألفوها في العقائد بما ينطبق على توحيد الربوبية فقط؛ حيث يقولون مثلا : التوحيد هو الإقرار بوجود الله وأنه الخالق الرازق . . . إلخ ! ! ثم يوردون أدلة توحيد الربوبية .أهـ

جاء في شرح كشف الشبهات للمصلح دروس صوتية مفرغة (4/3):

المراد بكلمة الإخلاص معناها لا مجرد لفظها

قال الشيخ[66] رحمه الله: [والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها]، وهذه أول الانحرافات التي وقعت في هذه الكلمة.

وهي أن بعض المنتسبين لملة الإسلام ظنوا أن الكلمة تفيد ما يترتب عليها من أحكام بمجرد نطق اللفظ دون التقييد بالمعنى

ولا شك أن هذا انحراف خطير؛ فإن (لا إله إلا الله) كلمة يطلب لفظها ومعناها؛ ولذلك وقعت الخصومة بين الرسول وقومه

فإنه لو كان المطلوب مجرد الكلمة لقالوها وأدوها، لكن علموا أن المراد هو معنى الكلمة، وسيذكر الشيخ عنهم ما يدل على أنهم فهموا أن المعنى هو المراد فقالوا: { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } [ص:5]، ولو كان النبي ρ قد طلب منهم مجرد التلفظ بهذه الكلمة لما استعجبوا ولما استغربوا من هذا الطلب، إذ أنه لفظ مجرد عن معناه، ولا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا باستيفاء شروطها، وتقييدها بالقيود كما ورد ذلك عن السلف.

قال الشيخ رحمه الله: [والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ρ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق به والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه]، فمعنى لا إله إلا الله: إفراد الله بالعبادة

ومعناها البراءة من الشرك وأهله، ولذلك ذكر الشيخ رحمه الله في الثلاثة الأصول أن الذي يفسر معنى هذه الآية هو قوله سبحانه وتعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } [الزخرف:26-27] فجعل تفسير لا إله إلا الله البراءة من الشرك وأهله، وإفراد الله سبحانه وتعالى بالتوحيد والعبادة

ولذلك لا يصح التوحيد إلا بالجمع بين إفراد الله بالتوحيد وبين البراءة من الشرك وأهله، فلو أفرد العبد الله بالتوحيد لكنه لم يقم بالبراءة من الشرك وأهله؛ فإنه لا ينفعه ذلك

---
[66] ـ محمد بن عبد الوهاب.

بشيء، قال الله جل ذكره: { لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } [البقرة:256].

فرتب الله سبحانه وتعالى الاستمساك بالعروة الوثقى على أمرين: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، فلو آمن بالله: بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ولم يكفر بالطاغوت؛ لم ينفعه ذلك بشيء، إذ أن من مقتضيات إفراد الله بالعبادة الكفر بما يعبد من دونه، كما قال جل ذكره: { فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى } [البقرة:256]، ويدل عليه أيضاً ما في صحيح مسلم من حديث طارق بن أشيم أن النبي ρ قال: (من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه) ، فرتب تحريم الدم والمال على قول: (لا إله إلا الله)، والكفر بما يعبد من دون الله، ولذلك فسر الشيخ رحمه الله المراد بهذه الكلمة فقال: هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه، يعني: البراءة مما عبد من دون الله؛ فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } [ص:5]؛ فاستعظموا واستغربوا –قاتلهم الله– أن يفرد الله بالعبادة، مع أنهم يقرون أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مالك إلا الله، ولا مدبر إلا الله، ولا محيي ولا مميت إلا الله، ومع ذلك استغربوا كيف تصرف العبادة لواحد؟! وضاقت عقولهم عن أن يتوجهوا لله سبحانه وتعالى وحده دون غيره فقالوا: (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) يعني: في منتهى العجب، ومنتهى الاستغراب، أن نصرف العبادة لواحد.

ولا شك أن ما استعجبوا منه ليس بعجيب، بل هو الذي تدل عليه العقول الصحيحة؛ فإن من كان يرزق وحده، ومن كان يملك وحده، ومن كان يخلق وحده، ومن كان يدبر وحده؛ فهو المستحق أن يعبد وحده، ولذلك كانت الرسل تستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية، وتقرر توحيد الإلهية بتقرير توحيد الربوبية، ولكن لما فسدت قلوب المشركين فسدت عقولهم.

قال الشيخ رحمه الله: [فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار!]

ما الذي عرفه جهال الكفرة من هذه الكلمة؟ عرفوا أن تفسير هذه الكلمة: هو إفراد الله بالعبادة، والكفر بما عبد من دونه، والبراءة منه، هذا الذي فهمه الكفار، فالعجيب ممن ينتسب إلى الإسلام ولا يفهم من هذه الكلمة ما فهمه جهال الكفار! قال الشيخ رحمه الله: [بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني].أهـ

جاء في الدرر السنية (13-136):

وقال الشيخ حسين ، والشيخ عبد الله ، ابنا الشيخ محمد ، رحمهم الله تعالى ، في أثناء جواب لهما :

المسألة الحادية عشرة:

رجل دخل هذا الدين وأحبه ، ولكن لا يعادي المشركين ، أو عاداهم ولم يكفرهم ، أو قال: أنا مسلم

ولكن لا أقدر أن أكفّر أهل لا إله إلا الله ، ولو لم يعرفوا معناها ، ورجل دخل هذا الدين وأحبه ، ولكن يقول: لا أتعرض للقباب ، وأعلم أنها لا تنفع ولا تضر ، ولكن ما أتعرضها .

الجواب: أن الرجل لا يكون مسلما ، إلا إذا عرف التوحيد ودان به ، وعمل بموجبه ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ، وأطاعه فيما نهى عنه ، وأمر به ، وآمن به وبما جاء به

فمن قال: لا أعادي المشركين ، أو عاداهم ولم يكفرهم ، أو قال: لا أتعرض أهل لا إله إلا الله ، ولو فعلوا الكفر والشرك وعادوا دين الله ، أو قال لا أتعرض للقباب ، فهذا لا يكون مسلما ، بل هو ممن قال الله فيهم: ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً ﴾ .

والله سبحانه وتعالى: أوجب معاداة المشركين ، ومنابذتهم ، وتكفيرهم ، فقال: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ، الآية وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ الآيات؛ والله أعلم.أهـ

جاء في الدرر السنية (199/3):

قال الشيخ: عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى ، شرحا لكلام جده ، الشيخ: محمد ، رحمهما الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله رحمه الله تعالى: « أصل دين الإسلام ، وقاعدته أمران ؛ الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه ».

قلت: وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصر ، كقوله تعالى: ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ الآية [آل: عمران 64] أمر الله تعالى نبيه: أن يدعو أهل الكتاب ، إلى معنى لا إله إلا الله ، الذي دعا إليه العرب وغيرهم.

والكلمة هي: لا إله إلا الله ؛ ففسرها بقوله: ﴿ ألا نعبد إلا الله ﴾ فقوله: ألا نعبد ؛ فيه معنى: لا إله ، وهو نفي العبادة عما سوى الله ؛ وقوله معنى: لا إله ، وهو نفي العبادة عما سوى الله ؛ وقوله: إلا الله ، هو: المستثنى في كلمة الإخلاص ؛ فأمره تعالى: أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحده ، ونفيها عمن سواه ؛ ومثل هذه الآية كثير ، يبين أن الإلهية هي العبادة ، وأنها لا يصلح منها شيء لغير الله ، كما قال تعالى: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ [الإسراء: 23] معنى ، قضى: أمر ووصى ؛ قولان ؛ ومعناهما واحد ؛ وقوله: ﴿ ألا تعبدوا ﴾ فيه معنى: لا إله ، وقوله: ﴿ إلا إياه ﴾ فيه معنى: إلا الله.

وهذا: هو توحيد العبادة ، وهو دعوة الرسل ، إذ قالوا لقومهم: ﴿ أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ [المؤمنون: 32] فلا بد من نفى الشرك في العبادة رأسا ، والبراءة منه ، وممن فعله ، كما قال تعالى ، عن خليله إبراهيم ، υ ، ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني ﴾ [الزخرف: 26–27] فلا بد من البراءة من عبادة ماكان يعبد من دون الله.

وقال عنه υ : ﴿ وأعتزلكم وماتدعون من دون الله ﴾ [مريم: 48] فيجب: اعتزال الشرك ، وأهله ، بالبراءة منهما ، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [الممتحنة: 4] والذين معه هم: الرسل ، كما ذكره ابن جرير.

وهذه الآية: تتضمن جميع ماذكره ، شيخنا رحمه الله ، من التحريض على التوحيد ، ونفي الشرك ، والموالاة لأهل التوحيد ، وتكفير من تركه ، بفعل الشرك المنافى له ، فإن من فعل الشرك ، فقد ترك التوحيد ، فإنهما ضدان لا يجتمعان ، فمتى وجد الشرك ، انتفى التوحيد.

- وقد قال تعالى ، في حال من أشرك: ﴿ وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ﴾ [الزمر: 8]
- فكفره تعالى: باتخاذ الأنداد ، وهم الشركاء في العبادة ، وأمثال هذه الآيات كثيرة
- فلا يكون موحدا ، إلا بنفي الشرك ، والبراءة منه ، وتكفير من فعله.

ثم قال رحمه الله تعالى ، الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله ، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا ؛ وهو دين الرسل ، أنذروا قومهم عن الشرك ، كما قال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل: 36] وقال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء: 25] وقال تعالى: ﴿ واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه

بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا الله ﴾ [الأحقاف: 21].

قوله: في عبادة الله ؛ العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

قوله: والتغليظ في ذلك ؛ وهذا موجود في الكتاب ، والسنة ، كقوله تعالى: ﴿ ففروا الى الله إني لكم منه نذير مبين ، ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين ﴾ [الذاريات: 50-51] ولولا التغليظ ، لما جرى على النبي ρ وأصحابه من قريش ماجرى ، من الأذى العظيم ، كما هو مذكور في السير مفصلا ، فإنه بادأهم بسب دينهم ، وعيب آلهتهم.

قوله: رحمه الله تعالى: والمعاداة فيه ؛ كما قال تعالى: ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ﴾ [التوبة: 5] والآيات في هذا كثيرة جدا ، كقوله: ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ [الأنفال: 39] والفتنة: الشرك

ووسم تعالى أهل الشرك ، بالكفر فيما لا يحصى من الآيات ؛ فلا بد من تكفيرهم أيضا ، وهذا هو مقتضى: لا إله إلا الله ، كلمة الإخلاص ، فلا يتم معناها ، إلا بتكفير من جعل لله شريكا في عبادته ، كما في الحديث الصحيح: " من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ، ودمه ، وحسابه على الله " فقوله: وكفر بما يعبد من دون الله: تأكيد للنفي ، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك ، فلو شك ، أو تردد ، لم يعصم دمه وماله.

فهذه الأمور: هي تمام التوحيد ، لأن: لا إله إلا الله ، قيدت في الأحاديث ، بقيود ثقال ؛ بالعلم ، والإخلاص ، والصدق ، واليقين ، وعدم الشك ، فلا يكون المرء موحدا ، إلا باجتماع هذا كله ، واعتقاده ، وقبوله ، ومحبته ، والمعاداة فيه ، والموالاة ، فبمجموع ماذكره شيخنا ، رحمه الله ، يحصل ذلك.

ثم قال رحمه الله تعالى: والمخالف في ذلك أنواع ، فأشدهم مخالفة ، من خالف في الجميع ، فقبل الشرك واعتقده دينا ، وأنكر التوحيد ، واعتقده باطلا ، كما هو حال الأكثر

وسببه: الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة ، من معرفة التوحيد ، وما ينافيه من الشرك ، والتنديد ، واتباع الأهواء ، وما عليه الآباء ، كحال من قبلهم من أمثالهم ، من أعداء الرسل ، فرموا أهل التوحيد ، بالكذب ، والزور ، والبهتان ، والفجور ؛ وحجتهم ﴿ بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ [الشعراء: 74].

وهذا النوع من الناس ، والذي بعده ، قد ناقضوا مادلت عليه كلمة الإخلاص ، وما وضعت له ، وما تضمنته من الدين ، الذي لا يقبل الله دينا سواه ، وهو دين الإسلام ، الذي بعث الله به جميع أنبيائه ، ورسله ، واتفقت دعوتهم عليه ، كما لا يخفى فيما قص الله عنهم في كتابه.

ثم قال رحمه الله: ومن الناس من عبد الله وحده ، ولم ينكر الشرك ، ولم يعاد أهله.قلت: ومن المعلوم أن من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد ، ولم يأت به

وقد عرفت: أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك ، والكفر بالطاغوت المذكور في الآية.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم

فهذا النوع أيضا: لم يأت بما دلت عليه ، لا إله إلا الله ، من نفي الشرك ، وما تقتضيه من تكفير من فعله ، بعد البيان إجماعا ، وهو مضمون سورة الإخلاص ، و﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ وقوله ، في آية الممتحنة: ﴿ كفرنا بكم ﴾ ومن لم يكفر من كفر القرآن ، فقد خالف ماجاءت به الرسل ، من التوحيد ، وما يوجبه.

ثم قال رحمه الله: ومنهم من لم يحب التوحيد ، ولم يبغضه

فالجواب: أن من لم يحب التوحيد ، لم يكن موحدا ، لأنه هو الدين ، الذي رضيه الله تعالى لعباده ، كما قال: ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا) [المائدة: 3] فلو رضي بما رضي به الله ، وعمل به لأحبه ، ولابد من المحبة ، لعدم حصول الإسلام بدونها ، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد ؛ قال شيخ الإسلام ، رحمه الله: الإخلاص: محبة الله ، وإرادة وجهه ؛ فمن أحب الله

أحب دينه ، وما لا فلا ، وبالمحبة يترتب عليها ماتقضيه كلمة الإخلاص ، من شروط التوحيد.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يبغض الشرك ، ولم يحبه. قلت: ومن كان كذلك ، فلم ينف ما نفته لا إله إلا الله ، من الشرك ، والكفر بما يعبد من دون الله ، والبراءة منه

فهذا ليس من الإسلام في شيء أصلا ، ولم يعصم دمه ، ولا ماله ، كما دل عليه الحديث ، المتقدم.

وقوله رحمه الله: ومنهم من لم يعرف الشرك ، ولم ينكره

قلت: من لم يعرف الشرك ، ولم ينكره ، لم ينفه ؛ ولا يكون موحدا ، إلا من نفى الشرك ، وتبرأ منه ، وممن فعله ، وكفرهم

وباجهل بالشرك ، لا يحصل شيء مما دلت عليه ، لا إله إلا الله

ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة ، ومضمونها ، فليس من الإسلام في شيء ، لأنه لم يأت بهذه الكلمة ، ومضمونها ، عن علم ويقين ، وصدق وإخلاص ، ومحبة وقبول ، وانقياد

وهذا النوع ، ليس معه من ذلك شيء ، وإن قال لا إله إلا الله ، فهو لا يعرف ما دلت عليه ، ولا ما تضمنته.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يعرف التوحيد ، ولم ينكره.

فأقول: هذا كالذي قبله ، لم يرفعوا رأسا بما خلقوا له من الدين ، الذي بعث الله به رسله ، وهذه الحال ، حال من قال الله فيهم: ﴿ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴾ ، [الفرقان: 44]

وقوله رحمه الله: ومنهم – وهو أشد الأنواع خطرا – من عمل بالتوحيد ، ولم يعرف قدره ، فلم يبغض من تركه ، ولم يكفرهم

فقوله رحمه الله: وهو أشد الأنواع خطرا ، لأنه لم يعرف قدر ماعمل به ، فلم يجيء بما يصحح توحيده ، من القيود الثقال ، التي لابد منها ، لما علمت أن التوحيد ، يقتضى: نفي الشرك ،

والبراءة منه ، ومعاداة أهله ، وتكفيرهم ، مع قيام الحجة عليهم ، فهذا قد يغتر بحالة ، وهو لم يجيء بما عليه من الأمور ، التي دلت عليها كلمة الإخلاص ، نفيا ، وإثباتا.

وكذلك قوله رحمه الله: ومنهم من ترك الشرك ، وكرهه ، ولم يعرف قدره ؛ فهذا أقرب من الذي قبله ، لكن لم يعرف قدر الشرك ، لأنه لو عرف قدره ، لفعل مادلت عليه الآيات المحكمات ، كقول الخليل: ﴿ إنني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني ﴾ [الزخرف: 26 – 27] وقوله: ﴿ إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا ﴾ [الممتحنة: 4].

فلا بد لمن عرف الشرك ، وتركه من أن يكون كذلك ، من الولاء ، والبراء ، من العابد والمعبود ، وبغض الشرك ، وأهله ، وعداوتهم ؛ وهذان: النوعان ، هما الغالب على أحوال كثير ممن يدعى الإسلام ، فيقع منهم من الجهل بحقيقته , ما يمنع الإتيان بكلمة الإخلاص , وما اقتضته على الكمال الواجب , الذي يكون به موحدا , فما أكثر المغرورين , الجاهلين بحقيقة الدين.

فإذا عرفت: أن الله كفر أهل الشرك , ووصفهم به في الآيات المحكمات , كقوله: ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ﴾ [التوبة: 17] وكذلك السنة.

قال شيخ الإسلام , رحمه الله تعالى: فأهل التوحيد والسنة ,يصدقون الرسل فيما أخبروا , يطيعونهم فيما أمروا , ويحفظون ما قالوا , ويفهمونه , ويعملون به , وينفون عنه تحريف الغالين , وانتحال المبطلين , وتأويل الجاهلين , ويجاهدون من خالفهم , تقربا إلى الله , وطلبا للجزاء من الله , لا منهم ؛ وأهل الجهل , والغلو: لا يميزون بين ما أمروا به , ونهوا عنه , ولا بين ما صح عنهم , وما كذب عليهم , ولا يفهمون حقيقة مرادهم , ولا يتحرون طاعتهم ؛ بل هم جهال لما أتوا به , معظمون لأغراضهم.

قلت: ما ذكره شيخ الإسلام , يشبه حال هذين النوعين الأخيرين .أهـ

الدرر السنية في الأجوبة النجدية 10/ 136:

= جواب لأبناء الشيخ محمد وحمد بن ناصر ....

وظهر لنا من جوابكم: أن المؤمن بالله ورسوله إذا قال أو فعل ما يكون كفرا، جهلا منه بذلك، فلا تكفرونه، حتى تقوم عليه الحجة الرسالية، فهل لو قتل من هذا حاله، قبل ظهور هذه الدعوة، موضوع أم لا ؟

- فنقول: إذا كان يعمل بالكفر والشرك، لجهله، أو عدم من ينبهه ، لا نحكم بكفره حتى تقام عليه الحجة ؛ ولكن لا نحكم بأنه مسلم

- بل نقول عمله هذا كفر ، يبيح المال والدم ، وإن كنا لا نحكم على هذا الشخص ، لعدم قيام الحجة عليه

- لا يقال: إن لم يكن كافرا ، فهو مسلم ، بل نقول عمله عمل الكفار، وإطلاق الحكم على هذا الشخص بعينه ، متوقف على بلوغ الحجة الرسالية. وقد ذكر أهل العلم: أن أصحاب الفترات، يمتحنون يوم القيامة في العرصات ، ولم يجعلوا حكمه حكم الكفار، ولا حكم الأبرار.

- وأما حكم هذا الشخص إذا قتل ، ثم أسلم قاتله ، فإنا لا نحكم بديته على قاتله إذا أسلم ، بل نقول: الإسلام يجُبّ ما قبله

- لأن القاتل قتله في حال كفره ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما كلام أسعد، على قوله تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} 1، أنه الإيمان اللغوي الشرعي، فهو مصيب في ذلك؛ وقد ذكر المفسرون: أن معنى قوله {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} أن إيمانهم: إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، ثم هم مع هذا الإيمان بتوحيد الربوبية، مشركون بالله في العبادة.

ومعلوم: أن مشركي العرب وغيرهم، يؤمنون بأن الله رب كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، ولم تنفعهم هذه الاعتقادات، حيث عبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه؛ بل تجد الرجل يؤمن

بالله ورسوله، وملائكته وكتبه ورسله، وبالبعث بعد الموت، فإذا فعل نوعا من المكفرات، حكم أهل العلم بكفره وقتله، ولم ينفعه ما معه من الإيمان.

وقد ذكر الفقهاء من أهل كل مذهب باب حكم المرتد، وهو الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعا كثيرة، من فعل واحدا منها كفر؛ وإذا تأملت ما ذكرناه، تبين لك أن الإيمان الشرعي، لا يجامع الكفر، بخلاف الإيمان اللغوي، والله أعلم.

وأما قولكم: وهل ينفع هذا المؤمن المذكور، ما معه من أعمال البر، وأفعال الخير، قبل تحقيق التوحيد؟

فيقال: لا يطلق على الرجل المذكور اسم الإسلام، فضلا عن الإيمان

بل يقال: الرجل الذي يفعل الكفر، أو يعتقده في حال جهله، وعدم من ينبهه، إذا فعل شيئا من أفعال البر، وأفعال الخير، أثابه الله على ذلك، إذا صحح إسلامه وحقق توحيده ، كما يدل عليه حديث حكيم بن حزام: "أسلمت على ما أسلفت من خير".

وأما الحج الذي فعله في تلك الحالة، فلا نحكم ببراءة ذمته، بل نأمره بإعادة الحج ، لأنا لا نحكم بإسلامه في تلك الحالة

والحج من شرط صحته الإسلام؛ فكيف نحكم بصحة حجه وهو يفعل الكفر، أو يعتقده؟ ولكنا لا نكفره إلا بعد قيام الحجة عليه ، فإذا قامت عليه الحجة وسلك سبيل المحجة، أمرناه بإعادة الحج، ليسقط الفرض عنه بيقين .أهـ

جاء في نظم الدرر للبقاعي (259/1):

- المشرك في الإلهية لا تصح منه المعاملة بالعبادة { مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء } [إبراهيم : 18]
- وأخص منه الإخلاص بالبراءة من الشرك الجلي بأن لا يرى لله سبحانه وتعالى شريكاً في شيء من أسمائه الظاهرة
- لأن المشرك في سائر أسمائه الظاهرة لا يصح له القبول .أهـ

جاء في الدرر السنية (199/3):

قال الشيخ: عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى ، شرحا لكلام جده ، الشيخ: محمد ، رحمهما الله تعالى:

وقال عنه عليه السلام: (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) [مريم: 48] فيجب: اعتزال الشرك ، وأهله ، بالبراءة منهما ، كما صرح به في قوله تعالى: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) [الممتحنة: 4] والذين معه هم: الرسل ، كما ذكره ابن جرير.

وهذه الآية: تتضمن جميع ما ذكره ، شيخنا رحمه الله ، من التحريض على التوحيد ، ونفي الشرك ، والموالاة لأهل التوحيد ، وتكفير من تركه ، بفعل الشرك المنافي له ، فإن من فعل الشرك ، فقد ترك التوحيد ، فإنهما ضدان لا يجتمعان ، فمتى وجد الشرك ، انتفى التوحيد.

- وقد قال تعالى ، في حال من أشرك: (وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار) [الزمر: 8]
- فكفَّره تعالى: باتخاذ الأنداد ، وهم الشركاء في العبادة ، وأمثال هذه الآيات كثيرة

فلا يكون موحدا ، إلا بنفي الشرك ، والبراءة منه ، وتكفير من فعله.أهـ

الدرر السنية (12–299):

مما يوجب الجهاد لمن اتصف به :

عدم تكفير المشركين، أو الشك في كفرهم

فإن ذلك من نواقض الإسلام ومبطلاته، فمن اتصف به فقد كفر، وحل دمه وماله، ووجب قتاله حتى يكفر المشركين، والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:" من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه " .

علق عصمة المال والدم بأمرين:

الأمر الأول: قول: لا إله إلا الله؛.

الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله.

فلا يعصم دم العبد وماله، حتى يأتي بهذين الأمرين:

الأول: قوله: لا إله إلا الله، والمراد معناها لا مجرد لفظها، ومعناها هو توحيد الله بجميع أنواع العبادة.

الأمر الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله

والمراد بذلك تكفير المشركين، والبراءة منهم، ومما يعبدون مع الله. فمن لم يكفر المشركين من الدولة التركية ، وعباد القبور، كأهل مكة وغيرهم، ممن عبد الصالحين، وعدل عن توحيد الله إلى الشرك، وبدّل سنّة رسوله صلى الله عليه وسلم بالبدع، فهو كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم، ويبغضهم، ويحب الإسلام والمسلمين

فإن الذي لا يكفر المشركين، غير مصدق بالقرآن، فإن القرآن قد كفر المشركين، وأمر بتكفيرهم، وعداوتهم وقتالهم.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله في نواقض الإسلام: الثالث: من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: من دعا علي بن أبي طالب ، فقد كفر، ومن شك في كفره، فقد كفر.أهـ

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في الدرر السنية (10-407):

والمرء قد يكره الشرك ، ويحب التوحيد

لكن يأتيه الخلل من جهة عدم البراءة من أهل الشرك، وترك موالاة أهل التوحيد ونصرتهم .

فيكون متبعاً لهواه، داخلاً من الشرك في شعب تهدم دينه وما بناه، تاركاً من التوحيد أصولاً وشعباً، لا يستقيم معها إيمانه الذي ارتضاه، فلا يحب ولا يبغض لله، ولا يعادي ولا يوالي لجلال من أنشأه وسواه

وكل هذا يؤخذ من شهادة أن لا إله إلا الله.أهـ

في الدرر السنية (10-369):

وسئل: عمن كان في سلطان المشركين ، وعرف التوحيد وعمل به ، ولكن ما عاداهم، ولا فارق أوطانهم؟

فأجاب:

هذا السؤال صدر عن عدم التعقل لصورة الأمر ، والمعنى المقصود من التوحيد والعمل به

لأنه لا يتصور أنه يعرف التوحيد ويعمل به، ولا يعادي المشركين

ومن لم يعادهم لا يقال له: عرف التوحيد وعمل به. والسؤال متناقض، وحسن السؤال مفتاح العلم.

وأظن مقصودك: من لم يظهر العداوة ، ولم يفارق ؛ ومسألة إظهار العداوة غير مسألة وجود العداوة.

فالأول : يعذر به مع العجز والخوف، لقوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [سورة آل عمران آية: 28].

والثاني : لا بد منه، لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت، وبينه وبين حب الله ورسوله تلازم كلي، لا ينفك عنه المؤمن؛ فمن عصى الله بترك إظهار العداوة، فهو عاص لله. فإذا كان أصل العداوة في قلبه، فله حكم أمثاله من العصاة، فإذا انضاف إلى ذلك ترك الهجرة، فله نصيب من قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ } الآية [سورة النساء آية: 97]، لكنه لا يكفر، لأن الآية فيها الوعيد لا التكفير.

وأما الثاني، الذي لا يوجد في قلبه شيء من العداوة، فيصدق عليه قول السائل: لم يعاد المشركين؛ فهذا هو الأمر العظيم، والذنب الجسيم، وأي خير يبقى مع عدم عداوة المشركين؟ والخوف على النخل والمساكن ليس بعذر يوجب ترك الهجرة ، قال تعالى: { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ } [سورة العنكبوت آية: 56].

وأما ما كان في دار الإسلام، ولا تعلّم أصل الدين ولا قواعده، ولأجل الجهل بها، صار يعزر ويوقر، أعداء الدين؟

فالجواب أن يقال: إن أحوال الناس تتفاوت تفاوتاً عظيماً، وتفاوتهم بحسب درجاتهم في الإيمان، إذا كان أصل الإيمان موجوداً؛ والتفريق والترك، إنما هو فيما دون ذلك من الواجبات، والمستحبات.

وأما اذا عدم الأصل الذي يدخل به في الإسلام، وأعرض عن هذا بالكلية، فهذا كفر إعراض، فيه قوله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ} الآية [سورة الأعراف آية: 179]، وقوله: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً} الآية [سورة طه آية: 124].

ولكن عليك أن تعلم: أن المدار على معرفة حقيقة الأصل وحقيقة القاعدة، وإن اختلف التعبير واللفظ؛ فإن كثيراً يعرف القصد والقاعدة، ويعبر بغير التعبير المشهور. وتعزيرهم وتوقيرهم كذلك، تحته أنواع أيضاً، أعظمها: رفع شأنهم، ونصرتهم على أهل الإسلام ومبانيه، وتصويب ما هم عليه؛ فهذا وجنسه من المكفرات، ودونه مراتب من التوقير بالأمور الجزئية، كلياقة الدواة ونحوه.

وأما قوله لأبي شريح، فليس فيه ما يدل على تحسين الباطل، والحكم به، بل ذكروا وجوهاً متعددة في معنى ذلك، كلها تفيد البعد والتحريم لمثل فعل البوادي. ومن أحسن ما قيل: أن هذا تحسين لفعل صدر في الجاهلية قبل ظهور الشرائع الإسلامية، فلما جاء الشرع أبطل ذلك؛ وإذا جاء نهر الله، بطل نهر معقل .أهـ

الدرر السنية (3-106):

وأنت يا من منَّ الله عليه بالإسلام، وعرف أن ما من إله إلا الله

- لا تظن أنك إذا قلت: هذا هو الحق، وأنا تارك ما سواه، لكن لا أتعرض للمشركين، ولا أقول فيهم شيئاً
- لا تظن: أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام، بل: لا بدَّ من بغضهم، وبغض من يحبهم، ومسبتهم، ومعاداتهم ؛ كما قال أبوك إبراهيم، والذين معه: (إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) [الممتحنة: 4] وقال تعالى: (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) [البقرة: 256] وقال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل: 36].

ولو يقول رجل: أنا اتبع النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو على الحق، لكن: لا أتعرض اللات، والعزى، ولا أتعرض أبا جهل، وأمثاله، ما علي منهم؛ لم يصح إسلامه.

وأما مجادلة بعض المشركين، بأن هؤلاء الطواغيت، ما أمروا الناس بهذا، ولا رضوا به، فهذا لا يقوله، إلا مشرك مكابر

فإن هؤلاء ما أكلوا أموال الناس بالباطل، ولا ترأسوا عليهم، ولا قربوا من قربوا، إلا بهذا؛ وإذا رأوا رجلاً صالحاً: استحقروه، وإذا رأوا مشركاً، كافراً، تابعاً الشيطان، قربوه، وأحبوه، وزوجوه بناتهم، وعدوا ذلك شرفاً !

وهذا القائل: يعلم أن قوله ذلك كذب، فإنه لو يحضر عندهم، ويسمع بعض المشركين يقول: جاءتنى شدة، فنخيت الشيخ، أو السيد، فنذرت له، فخلصني؛ لم يجسر أن يقول هذا القائل: لا يضر، ولا ينفع إلا الله؛ بل لو قال هذا، وأشاعه في الناس، لأبغضه الطواغيت؛ بل لو قدروا على قتله، لقتلوه

وبالجملة: لا يقول هذا، إلا مشرك، مكابر، وإلا فدعواهم هذه، وتخويفهم الناس، وذكرهم السوالف الكفرية، التي بآبائهم، شيء مشهور، لا ينكره من عرف حالهم، كما قال تعالى: (شاهدين على أنفسهم بالكفر) [التوبة: 17] 0

ولنختم الكتاب، بذكر آية من كتاب الله، فيها عبرة لمن اعتبر، قال تعالى، في حق الكفار: (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) [الإسراء: 67] فذكر عن الكفار: أنهم إذا جاءتهم الشدة، تركوا غيره، وأخلصوا له الدين؛ وأهل زماننا: إذا جاءتهم الشدة، والضر، نخوا غير الله سبحانه وتعالى عن ذلك.أهـ

جاء في الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب الرسالة 27 صفحة 182 :

إلى من يصل إليه من المسلمين ، هدانا الله وإياهم لدينه القويم ، وسلوك صراطه المستقيم ، ورزقنا وإياهم ملة الخليلين محمد وإبراهيم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ، قال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾[67] ، وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[68] ، وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً ﴾[69] إلى قوله: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ الآية؛ فيجب على كل إنسان يخاف الله والنار ، أن يتأمل كلام ربه الذي خلقه. هل يحصل لأحد من الناس أن يدين الله بغير دين النبي صلى الله عليه وسلم؟ لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ﴾[70] الآية

ودين النبي صلى الله عليه وسلم: التوحيد ، وهو معرفة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، والعمل بمقتضاهما.

فإن قيل: كل الناس يقولونها .

قيل: منهم من يقولها ، ويحسب معناها: أنه لا يخلق إلا الله ، ولا يرزق إلا الله ، وأشباه ذلك.

ومنهم من لا يفهم معناها.

ومنهم من لا يعمل بمقتضاها.

ومنهم من لا يعقل حقيقتها.

وأعجب من ذلك: من عرفها من وجه ، وعاداها وأهلها من وجه.

وأعجب منه: من أحبها ، وانتسب إلى أهلها ، ولم يفرق بين أوليائها وأعدائها.

---

[67] - سورة الأنفال آية: 39.

[68] - سورة آل عمران آية: 103.

[69] - سورة الشورى آية: 13.

[70] - سورة النساء آية: 115.

يا سبحان الله العظيم! أتكون طائفتان مختلفتين في دين واحد ، وكلهم على الحق؟! كلا والله! فماذا بعد الحق إلا الضلال.

فإذا قيل: التوحيد زين ، والدين حق ، إلا التكفير والقتال.

قيل: اعملوا بالتوحيد ودين الرسول ، ويرتفع حكم التكفير والقتال.

فإن كان حق التوحيد الإقرار به ، والإعراض عن أحكامه ، فضلاً عن بغضه ومعاداته ، فهذا والله عين الكفر وصريحه. فمن أشكل عليه من ذلك شيء ، فليطالع سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه .أهـ

** لا يكون المرأ مسلما إلا بالتبرؤ من الشرك والمشركين

حصول المأمول شرح ثلاثة الأصول لعبد الله بن صالح الفوزان (95/1):

«« وهو الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحيدِ والانقيادُ له بالطاعةِ، والخلوصُ مِنَ الشِّرْكِ »».

قوله : { وهو } ، أي : دين الإسلام، الذي بعث الله به نبيه ρ يقوم على ثلاثة أسس:

الأساس الأول : الاستسلام لله بالتوحيد .

الأساس الثاني : الانقياد لله تعالى بالطاعة .

الأساس الثالث : البراءة من الشرك ومن أهل الشرك .

فهذه الأمور الثلاثة هي التي ينتظمها دين الإسلام. أما الأول فهو { الاستسلام لله } بمعنى : الخضوع والذل له سبحانه؛ لأن من معاني مادة (أسلم) في اللغة : الطاعة والإذعان. وقد ورد هذا في قول الله تعالى : { وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ }[71] ، والمسلم سمي بذلك لخضوع جوارحه لطاعة ربه .[72]

---

[71] - سورة الزمر، الآية : 54 .

[72] - انظر : " لسان العرب " : مادة (سلم) .

وقوله : { بالتوحيد } هذا شامل لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، والمعنى : أن يستسلم ويخضع لله – عز وجل – وأن يفرده بربوبيته وألوهيته .

الثاني: { والانقياد له بالطاعة } الطاعة تشمل المأمور والمحظور. الطاعة في المأمور بالفعل، والطاعة في المحظور بالترك .

الثالث : { والخلوصُ من الشرك } ، أي : البراءة من الشرك وأهله، فلا يتم دين الإنسان إلا إذا تبرأ من المشركين وتبرأ من الشرك .أهـ

درء تعارض العقل والنقل 9/ 377:

وأفضل الكلام قول: لا إله إلا الله.

والإله هو الذي يستحق أن تألهه القلوب بالحب والتعظيم ، والإجلال والإكرام ، والخوف والرجاء ، فهو بمعنى المألوه ، وهو المعبود الذي يستحق أن يكون كذلك.

ولكن أهل الكلام الذي ظنوا أن التوحيد هو مجرد توحيد الربوبية ، فهو التصديق بأن الله وحده خالق الأشياء ، اعتقدوا أن الإله بمعنى الآله: اسم فاعل ، وأن الإلهية هي القدرة على الاختراع ، كما يقول الأشعري وغيره ، ممن يجعلون أخص وصف الإله القدرة على الاختراع.

ومن قال: إن أخص وصف الإله هو القدم ، كما يقوله من يقوله من المعتزلة ، قال ما يناسب ذلك في الإلهية ، وهكذا غيرهم ، وقد بسط الكلام على هذا في موضعه.

والمقصود هنا التنبيه على هذه الأمور ، وأن هؤلاء غلطوا في معرفة حقيقة التوحيد ، وفي الطرق التي بينها القرآن ، فظنوا أنه مجرد اعتقاد أن العالم له صانع واحد.

ومنهم من ضم إلى ذلك نفي الصفات أو بعضها ، فجعل نفي ذلك داخلاً في مسمى التوحيد.

وإدخال هذا في مسمى التوحيد ضلال عظيم.

وأما الأول ، فلا ريب أنه من التوحيد الواجب ، وهو الإقرار بأن خالق العالم واحد ، لكنه هو بعض الواجب وليس هو الواجب الذي به يخرج الإنسان من الإشراك إلى التوحيد ، بل المشركون الذي سماهم الله ورسوله مشركين ، وأخبر الرسل أن الله لا يغفر لهم ، كانوا مقرين بأن خالق كل شيء.

فهذا أصل عظيم يجب على كل أحد أن يعرفه ، فإنه به يعرف التوحيد ، الذي هو رأس الدين وأصله.

وهؤلاء قصروا في معرفة التوحيد ، ثم أخذوا يثبتون ذلك بأدلة ، وهي ، وإن كانت صحيحة ، فلم تنازع في هذا التوحيد أمة من الأمم ، وليس الطرق المذكورة في القرآن هي طرقهم ، كما أنه ليس مقصود القرآن هو مجرد ما عرفوه من التوحيد.

قال ابن رشد: فقد تبين من هذا القول الطرق التي دعا الشرع من قبلها الناس إلى الإقرار بوجود الباري تعالى ، ونفي الإلهية عما سواه ، وهما المعنيان اللذان تضمنتها كلمة التوحيد: أعني لا إله إلا الله ، فمن نطق بهذه الكلمة ، وصدق بهذين المعنيين اللذين تضمنتهما بهذه الطرق التي وصفنا ، فهو المسلم الحقيقي الذي عقيدته العقيدة الإسلامية ، ومن لم تكن عقيدته مبنية على هذه الأدلة ، وإن صدق بهذه الكلمة ، فهو مسلم مع المسلم الحقيقي باشتراك الاسم .أهـ

** العذر بالجهل في الحديث عهد والناشئ في بادية في الأمور الخبرية وليس في الشرك واتخاذ الأنداد

مجموع الفتاوى 11/ 405:

ومن هؤلاء من يستحل بعض الفواحش كاستحلال مؤاخاة النساء الأجانب والخلو بهن زعما منه انه يحصل لهن البركة بما يفعله معهن وإن كان محرما في الشريعة ؛ وكذلك من يستحل ذلك من المردان ويزعم أن التمتع بالنظر إليهم ومباشرتهم هو طريق لبعض السالكين حتى يترقى من محبة المخلوق إلى محبة الخالق ويأمرون بمقدمات الفاحشة الكبرى.

وقد يستحلون الفاحشة الكبرى كما يستحلها من يقول أن التلوط مباح بملك اليمين فهؤلاء كلهم كفار باتفاق المسلمين وهم بمنزلة من يستحل قتل المسلمين بغير حق ويسبى حريمهم ويغنم أموالهم وغير ذلك من المحرمات التي يعلم أنها من المحرمات تحريما ظاهرا متواترا.

لكن من الناس من يكون جاهلا ببعض هذه الأحكام جهلا يعذر به فلا يحكم بكفر احد حتى تقوم عليه الحجة من جهة بلاغ الرسالة كما قال تعالى ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وقال تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ ولهذا لو أسلم رجل ولم يعلم ان الصلاة واجبة عليه أو يعلم ان الخمر يحرم لم يكفر بعدم اعتقاد إيجاب هذا وتحريم هذا بل ولم يعاقب حتى تبلغه الحجة النبوية.

بل قد اختلف العلماء فيمن أسلم بدار الحرب ولم يعلم أن الصلاة واجبة ثم علم هل يجب عليه قضاء ما تركه في حال الجهل على قولين في مذهب الإمام أحمد وغيره

أحدهما : لا يجب عليه القضاء وهو مذهب أبي حنيفة.

والثاني: يجب عليه القضاء وهو المشهور عند أصحاب الشافعي .

بل النزاع بين العلماء في كل من ترك واجبا قبل بلوغ الحجة مثل ترك الصلاة عند عدم الماء يحسب أن الصلاة لا تصح بتيمم أو من أكل حتى تبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود ويحسب أن ذلك هو المراد بالآية كما جرى ذلك لبعض الصحابة أو مس ذكره أو أكل لحم الإبل ولم يتوضأ ثم تبين له وجوب ذلك وأمثال هذه المسائل هل يجب عليه القضاء على قولين في مذهب احمد وغيره.

وأصل ذلك هل يثبت حكم الخطاب في حق المكلف قبل التمكن من سماعه على ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره : قيل يثبت مطلقا ؛ وقيل لا يثبت مطلقا ؛ وقيل يفرق بين الخطاب الناسخ والخطاب المبتدأ كأهل القبلة . والصحيح الذي تدل عليه الأدلة الشرعية أن الخطاب لا يثبت في حق أحد قبل التمكن من سماعه فان القضاء لا يجب عليه في الصور المذكورة ونظائرها مع اتفاقهم على انتفاء الإثم لأن الله عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان ؛ فإذا كان هذا فى التأثيم فكيف فى التكفير.

وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة الذي يندرس فيها كثير من علوم النبوات حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة فلا يعلم كثيرا مما يبعث الله به رسوله ولا يكون هناك من يبلغه ذلك ومثل هذا لا يكفر ولهذا اتفق الأئمة على ان من نشأ ببادية بعيدة عن أهل العلم والإيمان وكان حديث العهد بالإسلام فأنكر شيئا من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فانه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول.أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (251/20):

وليس لأحد أن يعارض الحديث عن النبي ρ بقول أحد من الناس كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل سأله عن مسألة فأجابه فيها بحديث فقال له : قال أبو بكر وعمر فقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله ρ وتقولون قال أبو بكر وعمر ؟!

وإذا كان الترك يكون لبعض هذه الأسباب ؛ فإذا جاء حديث صحيح فيه تحليل أو تحريم أو حكم

فلا يجوز أن يعتقد أن التارك له من العلماء الذين وصفنا أسباب تركهم يعاقب ؛ لكونه حلل الحرام أو حرم الحلال ؛ أو حكم بغير ما أنزل الله . وكذلك إن كان في الحديث وعيد على فعل : من لعنة أو غضب أو عذاب ونحو ذلك ؛ فلا يجوز أن يقال

: إن ذلك العالم الذي أباح هذا أو فعله داخل في هذا الوعيد . وهذا مما لا نعلم بين الأمة فيه خلافا إلا شيئا يحكى عن بعض معتزلة بغداد مثل المريسي وأضرابه : أنهم زعموا أن المخطئ من المجتهدين يعاقب على خطئه

وهذا لأن لحوق الوعيد لمن فعل المحرم مشروط بعلمه بالتحريم ؛ أو بتمكنه من العلم بالتحريم

فإن من نشأ ببادية أو كان حديث عهد بالإسلام وفعل شيئا من المحرمات غير عالم بتحريمها لم يأثم ولم يحد ، وإن لم يستند في استحلاله إلى دليل شرعي . فمن لم يبلغه الحديث المحرم واستند في الإباحة إلى دليل شرعي أولى أن يكون معذورا ؛ ولهذا كان هذا مأجورا محمودا لأجل اجتهاده [73] قال الله سبحانه : ﴿ وداود وسليمان ﴾ إلى قوله ﴿ وعلما ﴾ فاختص سليمان بالفهم ؛ وأثنى عليهما بالحكم والعلم . وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص τ أن النبي ρ قال : ﴿ إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ﴾ فتبين أن المجتهد مع خطئه له أجر ؛ وذلك لأجل اجتهاده وخطؤه مغفور له ؛ لأن درك الصواب في جميع أعيان الأحكام إما متعذر أو متعسر وقد قال تعالى : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ وقال تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ .أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (353/3):

ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطنا وظاهرا لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة ؛ فهذا ليس بكافر ولا منافق ثم قد يكون منه عدوان وظلم يكون به فاسقا أو عاصيا

---

[73] - فهل من اجتهد واخطأ فأشرك مأجور ؟!!

وقد يكون مخطئا متأولا مغفورا له خطؤه ؛ وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه فهذا أحد الأصلين .

والأصل الثاني : أن المقالة تكون كفرا : كجحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحليل الزنا والخمر والميسر ونكاح ذوات المحارم ثم القائل بها قد يكون بحيث لم يبلغه الخطاب

وكذا لا يكفر به جاحده كمن هو حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه شرائع الإسلام فهذا لا يحكم بكفره بجحد شيء مما أنزل على الرسول إذا لم يعلم أنه أنزل على الرسول.

ومقالات الجهمية هي من هذا النوع فإنها جحد لما هو الرب تعالى عليه ولما أنزل الله على رسوله.

وتغلط مقالاتهم من ثلاثة أوجه : أحدها : أن النصوص المخالفة لقولهم في الكتاب والسنة والإجماع كثيرة جدا مشهورة وإنما يردونها بالتحريف .

الثاني : أن حقيقة قولهم تعطيل الصانع وإن كان منهم من لا يعلم أن قولهم مستلزم تعطيل الصانع ، فكما أن أصل الإيمان الإقرار بالله فأصل الكفر الإنكار لله .

الثالث : أنهم يخالفون ما اتفقت عليه الملل كلها وأهل الفطر السليمة كلها ؛ لكن مع هذا قد يخفى كثير من مقالاتهم على كثير من أهل الإيمان حتى يظن أن الحق معهم لما يوردونه من الشبهات . ويكون أولئك المؤمنون مؤمنين بالله ورسوله باطنا وظاهرا ؛ وإنما التبس عليهم واشتبه هذا كما التبس على غيرهم من أصناف المبتدعة فهؤلاء ليسوا كفارا قطعا بل قد يكون منهم الفاسق والعاصي ؛ وقد يكون منهم المخطئ المغفور له ؛ وقد يكون معه من الإيمان والتقوى ما يكون معه به من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه . وأصل قول أهل السنة الذي فارقوا به الخوارج والجهمية والمعتزلة والمرجئة أن الإيمان يتفاضل ويتبعض ؛ كما قال النبي ρ ﴿ يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ﴾ وحينئذ فتتفاضل ولاية الله وتتبعض بحسب ذلك . وإذا عرف أصل البدع فأصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب ، ويعتقدون ذنبا

ما ليس بذنب ، ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب – وإن كانت متواترة – ويكفرون من خالفهم ويستحلون منه لارتداده عندهم ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي كما قال النبي ρ فيهم ﴿ يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ﴾ ولهذا كفروا عثمان وعليا وشيعتهما ؛ وكفروا أهل صفين – الطائفتين – في نحو ذلك من المقالات الخبيثة .

وأصل قول الرافضة : أن النبي ρ نص على علي نصا قاطعا للعذر ؛ وأنه إمام معصوم ومن خالفه كفر ؛ وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص وكفروا بالإمام المعصوم ؛ واتبعوا أهواءهم وبدلوا الدين وغيروا الشريعة وظلموا واعتدوا ؛ بل كفروا إلا نفرا قليلا : بضعة عشر أو أكثر ثم يقولون : إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين . وقد يقولون : بل آمنوا ثم كفروا . وأكثرهم يكفر من خالف قولهم ويسمون أنفسهم المؤمنين ومن خالفهم كفارا ويجعلون مدائن الإسلام التي لا تظهر فيها أقوالهم دار ردة أسوأ حالا من مدائن المشركين والنصارى ولهذا يوالون اليهود والنصارى والمشركين على بعض جمهور المسلمين . وعلى معاداتهم ومحاربتهم : كما عرف من موالاتهم الكفار المشركين على جمهور المسلمين ؛ ومن موالاتهم الإفرنج النصارى على جمهور المسلمين ؛ ومن موالاتهم اليهود على جمهور المسلمين . ومنهم ظهرت أمهات الزندقة والنفاق كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم ولا ريب أنهم أبعد طوائف المبتدعة عن الكتاب والسنة ولهذا كانوا هم المشهورين عند العامة بالمخالفة للسنة فجمهور العامة لا تعرف ضد السني إلا الرافضي فإذا قال أحدهم : أنا سني فإنما معناه لست رافضيا . ولا ريب أنهم شر من الخوارج : لكن الخوارج كان لهم في مبدأ الإسلام سيف على أهل الجماعة وموالاتهم الكفار أعظم من سيوف الخوارج فإن القرامطة والإسماعيلية ونحوهم من أهل المحاربة لأهل الجماعة وهم منتسبون إليهم وأما الخوارج فهم معروفون بالصدق ؛ والروافض معروفون بالكذب . والخوارج مرقوا من الإسلام وهؤلاء نابذوا الإسلام . وأما القدرية المحضة فهم خير من هؤلاء بكثير وأقرب إلى الكتاب والسنة لكن المعتزلة وغيرهم من القدرية هم جهمية

أيضا وقد يكفرون من خالفهم ويستحلون دماء المسلمين فيقربون من أولئك . وأما المرجئة فليسوا من هذه البدع المغلظة بل قد دخل في قولهم طوائف من أهل الفقه والعبادة ؛ وما كانوا يعدون إلا من أهل السنة ؛ حتى تغلظ أمرهم بما زادوه من الأقوال المغلظة . ولما كان قد نسب إلى الإرجاء والتفضيل قوم مشاهير متبعون : تكلم أئمة السنة المشاهير في ذم المرجئة المفضلة تنفيرا عن مقالتهم كقول سفيان الثوري : من قدم عليا على أبي بكر والشيخين فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ؛ وما أرى يصعد له إلى الله عمل مع ذلك . أو نحو هذا القول . قاله لما نسب إلى تقديم على بعض أئمة الكوفيين . وكذلك قول أيوب السختياني : من قدم عليا ع لي عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار قاله لما بلغه ذلك عن بعض أئمة الكوفيين . وقد روي أنه رجع عن ذلك . وكذلك قول الثوري ومالك والشافعي وغيرهم في ذم المرجئة لما نسب إلى الإرجاء بعض المشهورين .أهـ

مجموع الفتاوى 23/ 342:

فصل:

وأما الصلاة خلف أهل الأهواء والبدع وخلف أهل الفجور ففيه نزاع مشهور

وتفصيل ليس هذا موضع بسطه: لكن أوسط الأقوال في هؤلاء أن تقديم الواحد من هؤلاء في الإمامة لا يجوز مع القدرة على غيره. فإن من كان مظهرا للفجور أو البدع يجب الإنكار عليه ونهيه عن ذلك وأقل مراتب الإنكار هجره لينتهي عن فجوره وبدعته؛ ولهذا فرق جمهور الأئمة بين الداعية وغير الداعية فإن الداعية أظهر المنكر فاستحق الإنكار عليه بخلاف الساكت فإنه بمنزلة من أسر بالذنب فهذا لا ينكر عليه في الظاهر فإن الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ضرت العامة؛ ولهذا كان المنافقون تقبل منهم علانيتهم وتوكل سرائرهم إلى الله تعالى بخلاف من أظهر الكفر.

- فإذا كان داعية منع من ولايته وإمامته وشهادته وروايته لما في ذلك من النهي عن المنكر لا لأجل فساد الصلاة أو اتهامه في شهادته وروايته فإذا أمكن لإنسان ألا يقدم مظهرا للمنكر في الإمامة وجب ذلك. لكن إذا ولاه غيره ولم يمكنه صرفه عن الإمامة أو كان هو لا يتمكن من صرفه إلا بشر أعظم ضررا من ضرر ما أظهره من المنكر فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير ولا دفع أخف الضررين بتحصيل أعظم الضررين فإن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان. ومطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا جميعا ودفع شر الشرين إذا لم يندفعا جميعا.

- فإذا لم يمكن منع المظهر للبدعة والفجور إلا بضرر زائد على ضرر إمامته لم يجز ذلك بل يصلي خلفه ما لا يمكنه فعلها إلا خلفه كالجمع والأعياد والجماعة. إذا لم يكن هناك إمام غيره ولهذا كان الصحابة يصلون خلف الحجاج والمختار بن أبي عبيد الثقفي وغيرهما الجمعة والجماعة فإن تفويت الجمعة والجماعة أعظم فسادا من الاقتداء فيهما بإمام فاجر لا سيما إذا كان التخلف عنهما لا يدفع فجوره فيبقى ترك المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة. ولهذا كان التاركون للجمعة والجماعات خلف أئمة الجور مطلقا معدودين عند السلف والأئمة من أهل البدع. وأما إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البر فهو أولى من فعلها خلف الفاجر. وحينئذ فإذا صلى خلف الفاجر من غير عذر فهو موضع اجتهاد للعلماء. منهم من قال: أنه يعيد لأنه فعل ما لا يشرع بحيث ترك ما يجب عليه من الإنكار بصلاته خلف هذا فكانت صلاته خلفه منهيا عنها فيعيدها. ومنهم من قال: لا يعيد. قال: لأن الصلاة في نفسها صحيحة وما ذكر من ترك الإنكار هو أمر منفصل عن الصلاة وهو يشبه البيع بعد نداء الجمعة. وأما إذا لم يمكنه الصلاة إلا خلفه كالجمعة فهنا لا تعاد الصلاة وإعادتها من فعل أهل البدع وقد ظن طائفة من الفقهاء أنه إذا قيل: إن الصلاة خلف الفاسق لا تصح أعيدت الجمعة خلفه وإلا لم تعد وليس كذلك. بل النزاع في الإعادة

حيث ينهى الرجل عن الصلاة. فأما إذا أمر بالصلاة خلفه فالصحيح هنا أنه لا إعادة عليه لما تقدم من أن العبد لم يؤمر بالصلاة مرتين.

- وأما الصلاة خلف من يكفر ببدعته من أهل الأهواء فهناك قد تنازعوا في نفس صلاة الجمعة خلفه.
- ومن قال إنه يكفر أمر بالإعادة لأنها صلاة خلف كافر
- لكن هذه المسألة متعلقة بتكفير أهل الأهواء والناس مضطربون في هذه المسألة.
- وقد حكي عن مالك فيها روايتان وعن الشافعي فيها قولان.

وعن الإمام أحمد أيضا فيها روايتان وكذلك أهل الكلام فذكروا للأشعري فيها قولين. وغالب مذاهب الأئمة فيها تفصيل.

- وحقيقة الأمر في ذلك: أن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها.

وهذا كما في نصوص الوعيد فإن الله سبحانه وتعالى يقول: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا} فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع

- فقد لا يكون التحريم بلغه
- وقد يتوب من فعل المحرم
- وقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم
- وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه وقد يشفع فيه شفيع مطاع.
- وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق ، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده ، أو لم يتمكن من فهمها ، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها.

🔴 فمن كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان سواء كان في المسائل النظرية أو العملية

هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وجماهير أئمة الإسلام وما قسموا المسائل إلى مسائل أصول يكفر بإنكارها ومسائل فروع لا يكفر بإنكارها.

فأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع وعنهم تلقاه من ذكره من الفقهاء في كتبهم وهو تفريق متناقض.

فإنه يقال لمن فرق بين النوعين: ما حد مسائل الأصول التي يكفر المخطئ فيها؟ وما الفاصل بينها وبين مسائل الفروع؟

🔴 فإن قال: مسائل الأصول هي مسائل الاعتقاد ومسائل الفروع هي مسائل العمل.

🔴 قيل له: فتنازع الناس في محمد صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه أم لا؟

🔴 وفي أن عثمان أفضل من علي أم علي أفضل؟

🔴 وفي كثير من معاني القرآن وتصحيح بعض الأحاديث هي من المسائل الاعتقادية العلمية ولا كفر فيها بالاتفاق

ووجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الفواحش والخمر هي مسائل عملية والمنكر لها يكفر بالاتفاق. وإن قال الأصول: هي المسائل القطعية قيل لا: كثير من مسائل العمل قطعية وكثير من مسائل العلم ليست قطعية وكون المسألة قطعية أو ظنية هو من الأمور الإضافية وقد تكون المسألة عند رجل قطعية لظهور الدليل القاطع له كمن سمع النص من الرسول صلى الله عليه وسلم وتيقن مراده منه. وعند رجل لا تكون ظنية فضلا عن أن تكون قطعية لعدم بلوغ النص إياه أو لعدم ثبوته عنده أو لعدم تمكنه من العلم بدلالته. وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث الذي قال لأهله: " {إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليم فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني الله عذابا ما عذبه أحدا من العالمين. فأمر الله البر

برد ما أخذ منه والبحر برد ما أخذ منه وقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال خشيتك يا رب فغفر الله له} فهذا شك في قدرة الله. وفي المعاد بل ظن أنه لا يعود وأنه لا يقدر الله عليه إذا فعل ذلك وغفر الله له.

وهذه المسائل مبسوطة في غير هذا الموضع

ولكن المقصود هنا أن مذاهب الأئمة مبنية على هذا التفصيل بين النوع والعين

ولهذا حكى طائفة عنهم الخلاف في ذلك ولم يفهموا غور قولهم فطائفة تحكي عن أحمد في تكفير أهل البدع روايتين مطلقا حتى تجعل الخلاف في تكفير المرجئة والشيعة المفضلة لعلي وربما رجحت التكفير والتخليد في النار وليس هذا مذهب أحمد ولا غيره من أئمة الإسلام بل لا يختلف قوله أنه لا يكفر المرجئة الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل ولا يكفر من يفضل عليا على عثمان بل نصوصه صريحة بالامتناع من تكفير الخوارج والقدرية وغيرهم. وإنما كان يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته؛ لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرة بينة: ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق وكان قد ابتلي بهم حتى عرف حقيقة أمرهم وأنه يدور على التعطيل وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة. لكن ما كان يكفر أعيانهم فإن الذي يدعو إلى القول أعظم من الذي يقول به والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية: إن القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة وغير ذلك. ويدعون الناس إلى ذلك ويمتحنونهم ويعاقبونهم إذا لم يجيبوهم ويكفرون من لم يجبهم. حتى أنهم كانوا إذا أمسكوا الأسير لم يطلقوه حتى يقر بقول الجهمية: إن القرآن مخلوق وغير ذلك. ولا يولون متوليا ولا يعطون رزقا من بيت المال إلا لمن يقول ذلك ومع هذا فالإمام أحمد رحمه الله تعالى ترحم عليهم واستغفر لهم لعلمه بأنهم لمن يبين لهم أنهم مكذبون للرسول ولا جاحدون لما جاء به ولكن تأولوا فأخطئوا وقلدوا من قال لهم ذلك. وكذلك الشافعي لما قال لحفص الفرد حين قال: القرآن مخلوق: كفرت بالله العظيم. بين له أن هذا القول كفر ولم يحكم بردة

حفص بمجرد ذلك؛ لأنه لم يتبين له الحجة التي يكفر بها ولو اعتقد أنه مرتد لسعى في قتله وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الأهواء والصلاة خلفهم. وكذلك قال مالك رحمه الله والشافعي وأحمد في القدري: إن جحد علم الله كفر ولفظ بعضهم ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن جحدوه كفروا. وسئل أحمد عن القدري: هل يكفر؟ فقال: إن جحد العلم كفر وحينئذ فجاحد العلم هو من جنس الجهمية.

وأما قتل الداعية إلى البدع فقد يقتل لكف ضرره عن الناس كما يقتل المحارب. وإن لم يكن في نفس الأمر كفرا فليس كل من أمر بقتله يكون قتله لردته وعلى هذا قتل غيلان القدري وغيره قد يكون على هذا الوجه. وهذه المسائل مبسوطة في غير هذا الموضع وإنما نبهنا عليها تنبيها .أهـ

قال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (206/3):

سئل رحمه الله تعالى أيضا عمن يقول: إن المرأة إذا وقع بها الطلاق الثلاث تباح بدون نكاح ثان للذي طلقها ثلاثا: فهل قال هذا القول أحد من المسلمين ، ومن قال هذا القول ماذا يجب عليه؟ ومن استحلها بعد وقوع الثلاث بدون نكاح ثان ماذا يجب عليه؟ وما صفة النكاح الثاني الذي يبيحها للأول؟ أفتونا مأجورين مثابين يرحمكم الله.

فأجاب: τ : الحمد لله رب العالمين . إذا وقع بالمرأة الطلاق الثلاث فإنها تحرم عليه حتى تنكح زوجا غيره بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، ولم يقل أحد من علماء المسلمين: إنها تباح بعد وقوع الطلاق الثلاث بدون زوج ثان ، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد كذب.

ومن قال ذلك أو استحل وطأها بعد وقوع الطلاق الثلاث بدون نكاح زوج ثان ، فإن كان جاهلا يعذر بجهله – مثل أن يكون نشأ بمكان قوم لا يعرفون فيه شرائع الإسلام

، أو يكون حديث عهد بالإسلام ، أو نحو ذلك – فإنه يعرف دين الإسلام ؛ فإن أصر على القول بأنها تباح بعد وقوع الثلاث بدون نكاح ثان أو على استحلال هذا الفعل: فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، كأمثاله من المرتدين الذين يجحدون وجوب الواجبات ، وتحريم المحرمات ، وحل المباحات التي علم أنها من دين الإسلام ، وثبت ذلك بنقل الأمة المتواتر عن نبيها عليه أفضل الصلاة والسلام . وظهر ذلك بين الخاص والعام ، كمن يجحد وجوب " مباني الإسلام " من الشهادتين ، والصلوات الخمس ، وصيام شهر رمضان وحج البيت الحرام ، أو جحد "
تحريم الظلم ، وأنواعه " كالربا والميسر ، أو تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وما يدخل في ذلك من تحريم " نكاح الأقارب " سوى بنات العمومة والخؤولة ، وتحريم " المحرمات بالمصاهرة " وهن أمهات النساء وبناتهن وحلائل الآباء والأبناء ونحو ذلك من المحرمات ، أو حل الخبز واللحم ، والنكاح واللباس ؛ وغير ذلك مما علمت إباحته بالاضطرار من دين الإسلام: فهذه المسائل مما لم يتنازع فيها المسلمون ، لا سنيهم ولا بدعيهم.

ولكن تنازعوا في مسائل كثيرة من " مسائل الطلاق والنكاح " وغير ذلك من الأحكام ؛ كتنازع الصحابة والفقهاء بعدهم في " الحرام " هل هو طلاق ، أو يمين ، أو غير ذلك؟ وكتنازعهم في " الكنايات الظاهرة " كالخلية ، والبرية ، والبتة: هل يقع بها واحدة رجعية ، أو بائن ، أو ثلاث؟ أو يفرق بين حال وحال؟ وكتنازعهم في " المولي ": هل يقع به الطلاق عند انقضاء المدة إذا لم يف فيها؟ أم يوقف بعد انقضائها حتى يفيء أو يطلق؟ وكتنازع العلماء في طلاق السكران ، والمكره ، وفي الطلاق بالخط ، وطلاق الصبي المميز ، وطلاق الأب على ابنه. وطلاق الحكم الذي هو من أهل الزوج بدون توكيله.أهـ

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (609/7):

ولهذا تنازع العلماء في تكفير من يترك شيئا من هذه " الفرائض الأربع " بعد الإقرار بوجوبها ؛ فأما " الشهادتان " إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين وهو كافر باطنا وظاهرا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها وذهبت طائفة من المرجئة وهم جهمية المرجئة : كجهم والصالحي وأتباعهما إلى أنه إذا كان مصدقا بقلبه كان كافرا في الظاهر دون الباطن . وقد تقدم التنبيه على أصل هذا القول وهو قول مبتدع في الإسلام لم يقله أحد من الأئمة وقد تقدم أن الإيمان الباطن يستلزم الإقرار الظاهر ؛ بل وغيره وأن وجود الإيمان الباطن تصديقا وحبا وانقيادا بدون الإقرار الظاهر ممتنع . وأما « الفرائض الأربع » فإذا جحد وجوب شيء منها بعد بلوغ الحجة فهو كافر وكذلك من جحد تحريم شيء من المحرمات الظاهرة المتواتر تحريمها كالفواحش والظلم والكذب والخمر ونحو ذلك وأما من لم تقم عليه الحجة مثل أن يكون حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه فيها شرائع الإسلام ونحو ذلك أو غلط فظن أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يستثنون من تحريم الخمر كما غلط في ذلك الذين استتابهم عمر . وأمثال ذلك فإنهم يستتابون وتقام الحجة عليهم فإن أصروا كفروا حينئذ ولا يحكم بكفرهم قبل ذلك ؛ كما لم يحكم الصحابة بكفر قدامة بن مظعون . وأصحابه لما غلطوا فيما غلطوا فيه من التأويل . وأما مع الإقرار بالوجوب إذا ترك شيئا من هذه الأركان الأربعة ففي التكفير أقوال للعلماء هي روايات عن أحمد :

أحدها : أنه يكفر بترك واحد من الأربعة حتى الحج وإن كان في جواز تأخيره نزاع بين العلماء فمتى عزم على تركه بالكلية كفر وهذا قول طائفة من السلف وهي إحدى الروايات عن أحمد اختارها أبو بكر.

والثاني : أنه لا يكفر بترك شيء من ذلك مع الإقرار بالوجوب وهذا هو المشهور عند كثير من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وهو إحدى الروايات عن أحمد اختارها ابن بطة وغيره .

والثالث : لا يكفر إلا بترك الصلاة وهي الرواية الثالثة عن أحمد وقول كثير من السلف وطائفة من أصحاب مالك والشافعي وطائفة من أصحاب أحمد .

والرابع : يكفر بتركها وترك الزكاة فقط .

والخامس : بتركها وترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها دون ترك الصيام والحج .

وهذه المسألة لها طرفان .

أحدهما في إثبات الكفر الظاهر .

والثاني في إثبات الكفر الباطن . فأما " الطرف الثاني " فهو مبني على مسألة كون الإيمان قولا وعملا كما تقدم ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمنا إيمانا ثابتا في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم من رمضان ولا يؤدي لله زكاة ولا يحج إلى بيته فهذا ممتنع ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة لا مع إيمان صحيح ؛ ولهذا إنما يصف سبحانه بالامتناع من السجود الكفار كقوله : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾ .أهـ

**** فتاوى من النت**

فتاوى الشبكة الإسلامية 1/ 3810 بترقيم الشاملة آليا:

الجاهل بالتوحيد إذا كان يعيش في ديار المسلمين لا يعذر

[السُّؤَالُ]

.[ما حكم جاهل التوحيد؟].

[الفَتْوَى]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

يختلف الحكم على الإنسان هل يعذر بالجهل أو لا يعذر، باختلاف البلاغ وعدمه وباختلاف المسألة نفسها وضوحاً وخفاءً.

فمن بلغته الدعوة ووضح له الحق وأقيمت عليه الحجة في مسألةٍ ما فهذا لا يعذر بجهله.

وكذا من يقيم في ديار المسلمين ويسمع المواعظ والخطب، ويسمع كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا قد بلغته دعوة الله وأقيمت عليه الحجة ولا يعذر بجهله .

بخلاف من يعيش مسلماً في بلاد الكفار أو في بادية أو صحراء ولا يختلط بالعلماء فهذا جاهل قد يعذر بجهله ببعض الأمور

والدليل على أن المؤاخذة إنما تختص بمن قامت عليه الحجة وبلغته الدعوة قوله تعالى: "وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ" [الأنعام: 19] وقال سبحانه: "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً" [الإسراء: 15] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) رواه مسلم. والله أعلم.

[تَارِيخُ الْفَتْوَى]

05 شوال 1421